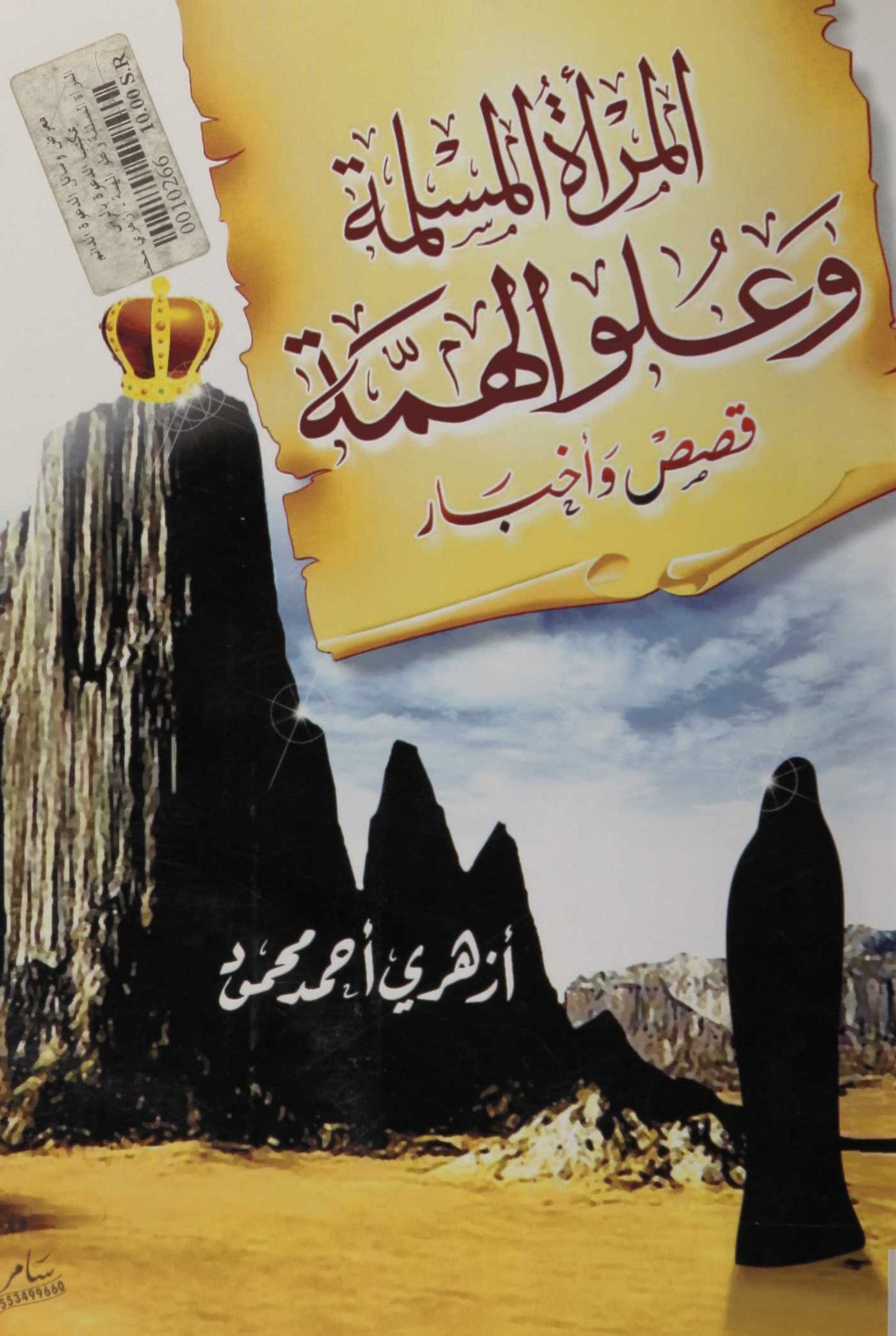

المرأة المسلمة وعلو الهمة
قصص وأخبار
أزهري أحمد محمود
10.00 S.R
00102266

المرأة المسلمة وعلو الهمة

قصص وأخبار

أزهري أحمد محمود

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

محمود ، ازهري احمد

المرأة المسلمة وعلو الهمة : قصص و اخبار. / ازهري احمد محمود . - الرياض ، ١٤٢٦ هـ

١٢٨ ص ؛ .. سم

ردمك : ٦ - ٩٣٦ - ٤٧ - ٩٩٦٠

١ - المرأة في الاسلام - تراجم أ.العنوان

ديوي ٩٢٠,٧٢ ١٤٢٦ / ٣٠٤٢

رقم الإيداع : ٣٠٤٢ / ١٤٢٦

ردمك : ٦-٩٣٦-٤٧-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ

خصم خاص للتوزيع الخيري

جوال : ٠٥٠٧٨٣٣٨٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله تعالى توالت نعماؤه، وتجددت آلاؤه، والصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ الهادي إلى الخيرات، والدَّاعي إلى الصالحات، وعلى آله وأصحابه الهداة، والأئمَّة الحماة..

وبعد:

لقد أكرم الإسلام المرأة، ووضعها في منزلة خاصة، ويتجلى ذلك في أحكام الشَّرع التي جاءت خاصَّة بالنساء، ومن تأمل في ذلك رأى تلك المعاني البديعة التي تضمنتها تلك الأحكام، والمتأمل هنا هو من كسا الله تعالى عقله بحلية الإيمان، وأنوار الهدى، ويخرج من ذلك أولئك الذين أعمى الله بصائرهم، فنظروا في تلك المعاني بعين الشك، فلم تظهر لهم تلك الدلائل الباهرة في كرامة المرأة المسلمة، فأرادوا بها أن تقاسم الرجل حقوقه، وتطرح عنها ثوب الأنوثة، فتزاحم الرجل مزاحمة الند! ولكن دين الإسلام الذي أحكم للناس أمورهم، أعطى للمرأة من الحقوق، وكفل لها من الكرامة، ما يجعلها متوجة في أبهى مملكة، وإن أرادت منافسة الرجل فقد جعل لها ذلك في حدود كفيلة أن تعلو بها إلى القمم العالية، من دون تجاوز للشرع.

فللمرأة أن تنافس الرجل في فعل الصالحات، والمبادرة إلى المكرمات، فكم من نساء علون في قمم المجد، من غير ابتذال، ولا مجانبة لأحكام

الشرع، فمنهن: العالمات، والعابدات، والزاهدات والقانتات، والصابرات، والصادقات، والمتصدقات، والورعات.

فإنَّ خلال المكارم ليست حكراً على الرجال، فإنه ميدان يسع الجميع والسابق فيه من حاز أوفى نصيب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وعن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن النساء شقائق الرجال**»[١].

وللمرأة أن تكون من أهل الدرجات العالية يوم القيامة، فتتبوأ من الجنة درجة عالية، إن هي نافست في الطاعات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنَّة من أي أبواب الجنة شئت**»[٢].

---

(١) رواه أبو داود وأبو عوانة والدارمي/ صحيح الجامع للألباني: ح١٩٧٩.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه/ صحيح الجامع للألباني: ح ٦٧٣.

ويدخل في هذا المعنى قول زيد بن أسلم: (مثل المراة التي تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ولا توطئ فراشها أحداً، مثل المجاهد في سبيل الله)[١].

بل إن امرأة كهذه تمناها الصالحون، وتنافس على خطبتها الصادقون، قال محمد بن واسع: (قال مسلم بن يسار: ما غبطت رجلاً بشيء ما غبطته بثلاث: زوجة صالحة، وبجار صالح، وبمسكن واسع)[٢].

فإن ضعف المرأة لا يقعد بها عن ارتقاء سلم المجد، ولا هو صاد لها عن المنافسة في ميادين المكرمات.

وها هو التاريخ حافل بأولئك النسوة اللائي دُوِّنت مآثرهن، وشهد لهن السابق واللاحق بشرف المنزلة، وعاطر الذكر.

وأنا اليوم أهدي القارئ كتابي: (المرأة المسلمة وعلو الهمة ـ قصص وأخبار) ليكون واحداً من تلك الكتب التي سجلت مآثر الصالحات، ووثقت لمناقب الفضليات، وليكون أيضاً صِنْوًا وسَمِيًّا لكتابي: (نساء لهن مواقف)[٣] وقد حفزني إلى كتابة هذا الكتاب عدة معان:

أولها: أنني ما وجدت أحداً كتب فيه، وأفرد له مصنفاً، إذ أن كل الكتب التي تناولت: (علو الهمة) جاء التركيز فيها على الرجال، وإن تناولت النساء ففي مساحة ضيقة، لذلك فقد عانيت في جمع مادة الكتاب، إذ أن الموضوع لم

---

(١) أحكام النساء: ٧١٦.
(٢) المرجع السابق: ١١٦.
(٣) طُبعت منه طبعتان.

يطرق كثيراً، فرجعت إلى الكثير من المصادر التي نقبت فيها عن بُغيتي، وأرجو أن يكون في ذلك إضافة جديد إلى المكتبة الإسلامية.

ثانيها: تنبيه المرأة المسلمة إلى تلك المآثر الرائعة، التي تجلت في واحدة من بنات جنسها، حتى تلتفت إلى معالي الأمور، وتدرك أن ضعفها لا يقعد بها عن إدراك الدرجات العلية، من غير أن تخدش حياءها، ولا تتجاوز أحكام الشرع.

ثالثها: تنبيه أولي الهمم الدنيا من الرجال، إلى أن في النساء من فاقت بعض الرجال في بلوغ ذروة المجد المؤثَّل.

رابعها: أن تجد المرأة المسلمة أنيساً لها من تاريخها الزاهي، يذكِّرها بذلك النموذج الرائع من جيل الصادقات، اللائي حُزْنَ الشرف الوافي، فتمتد يد المرأة المسلمة مقلبة لصفحاته، لتستنشق من عبق الماضي العاطر، وهي تردِّد:

رَدِّدْ عليَّ حديثَهُمْ يا حادي فحديثُهُمْ يَجْلُو الفُؤاد الصَّادي

فحريٌّ بكل أنثى تتطلع إلى غد مليء بالنجاح الحقيقي أن تنظر في أخبار الصالحات من سلف الأئمة، لتقف على مفاتيح الفلاح، وعتبات النجاح في الدنيا والآخرة.

بل وحرِيٌّ بكل رجل غيور يريد لنسائه طهارة المنشأ، أن يغْذُوهنَّ بلِبَانِ تلك المفاخر ويكسُوهُنَّ من حُلَله الزاهية.

ولا يقولن قائل إن المؤلف اكتفى بالمنقول، وجمع المادة العلمية، وهذه مقولة أطلت في هذه الأزمان تزهِّد في كل كتاب أكثر فيه صاحبه في النقل

عن الآخرين، وهي مقولة خاطئة، إذ إن الجمع لمادة علمية في موضع واحد يعتبر من أقسام التأليف، وقد جاء في ذلك:

يصنِّفُ الكُتْبَ أهلُوها لأربعةٍ ومثلها عدَّها في النظم قد نَسَقَا
جَمْعٌ لُمفترقٍ ترتيبُ مختلطٍ تكميلُ نقصٍ وإيضاحٌ لما انْغَلَقَا
إيجازُ ما طَوَّلُوهُ أو بيانُ خطأ إيجادُ ما لم يكن للسمع قد طَرَقَا
تفصيلُ ما فيه إجمالٌ لسامِعِهِ كذا رَوَى عن أبي حبَّانَ مَنْ سَبَقَا

وقد سار على هذا السبيل المتقدمون والمتأخرون من أهل العلم، بل إن الكتاب تتوثق مادته، ويَنْفُسُ إذا حوى بين جنبيه مادة علمية مأخوذة من كتب أهل العلم، ويظنُّ البعض إن جمع مادة علمية في موضوع ما في غاية السهولة، وفات هذا ما يعانيه المؤلف في جمع المادة العلمية، وخاصة إذا كان الموضوع نادراً، فإن حال صاحبه يكون كحال من ينتقي حبات معينة من الحصى في سهل شاسع مفروش بالحصى!

وهاهي ـ أختي المسلمة ـ مواكب كتابنا تطل عليك أفواجاً أفواجاً لتروى لك قصة الهمم العالية، والروائع الغالية، فاجعلي ذلك أيتها الغالية موضع الجِيد، وواسطة العقد الفريد.

أزهري أحمد محمود

الرياض ١١٤٦٥ ص.ب: ٢٠٨٤٦

❖❖❖

نساءٌ ومعالي الأمور

ما أجمل أن توصف الأنثى بعلو الهمة، وطلب المعالي، بل ما أنبل أن يوصف الرجل بذلك، وفي هذا الباب سأبتدئ بكوكبة من الأخبار تكون فاتحة لكتابي، لتلفت القارئ إلى مضمون كتابنا، وحتى لا يفقد النص شيئاً من بهائه، فقد فضلت أن أنقل سائر الأخبار كما أخذتها من مصادرها من غير تصرف، إلا في النادر، ولكي أزيد من شحذ همة المرأة المسلمة، فسأضع في مقدمة هذا الباب خبراً عن شيرين امرأة أبرويز (كسرى) ملك الفرس، إذ أن طلب المعالي، والالتفات إلى المعاني النبيلة ليست حكراً على أحد، وهي وإن كانت غير مسلمة، إلا أن في نقل قصتها عبرة وعظة لكل عاقل، والحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها أخذ بها، وحرِيٌّ بالمسلمة أن تلتفت إلى ما في هذه القصة من المعاني.

جاء في القصة أن شيرويه بن أبرويز لما قتل أباه وتوطَّد له الملك، بعث إلى شيرين يدعوها إلى نفسه، فامتنعت عليه وأبت أن تجيبه إلى ذلك، فغصبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها، وقذفها بكل فاحشة، ورماها بكل معضلة، فلما بلغها ذلك، هان عليها ما أخذه من أموالها مع ما رماها به، فبعثت إليه، وقالت: أيها الرجل إن لم يكن مما سألت بُدٌّ فاقض لي ثلاث حوائج، حتى أتابعك على ما تريد، فقال: وما هذه الحوائج؟ قالت:

أحدها: أن ترد عليَّ ضياعي وأموالي.

والثانية: أن تصعد منبرك بمحضر مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك، وتتبرأ مما قذفتني به.

والثالثة: أن أباك أودعني وديعة، فتأمر أن يفتح لي باب الناووس حتى أردها عليه.

فأجابها إلى ذلك، وأمر بفتح باب الناووس لها، ومعها خاتم فيه سم ساعة، فنثرته في فيها، وعانقت قبر زوجها فماتت[١]!

ثم إليك أختي المسلمة، هذه الباقة من الأخبار عن نسوة طلبن معالي الأمور وقمم المطالب.

أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتاني نبي الله ﷺ، فقال: «**إني سأعرض عليكِ أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي به حتى تشاوري أبويك**»، فقلت: وما هذا الأمر؟ قالت: فتلا عليَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ قالت عائشة: في أي ذلك تأمرني أن أشاور أبويَّ! بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة، فسر بذلك النبي ﷺ[٢].

أم المؤمنين سودة ـ رضي الله عنها ـ:

كانت سودة مسنة، فطلقها رسول الله ﷺ في سنة ثمان من الهجرة تطليقة، فجمعت ثيابها، وجلست له على الطريق التي كان يسلكها إذا

---

(١) المحاسن والأضداد: ٢١٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ٦٨/٨.

خرج إلى الصَّلاة، فلما دنا منها بكت، وقالت: يا رسول الله ﷺ هل اعتددت عليَّ في الإسلام بشيء؟ فقال: اللهم لا. فقالت: أسألك بالله لما راجعتني، فراجعها، وجعلت يومها لعائشة، وقالت: والله ما غايتي إلا أن أرى وجهك، وأحشر مع أزواجك[١]!

أم الدرداء الصغرى:

سألت الله تعالى فقالت: اللهم إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا، اللهم فأنا أخطبه إليك، فأسألك أن تزوجنيه في الآخرة[٢]!

حفصة بنت سيرين:

عن حفصة بنت سيرين، قالت: سألني أنس بن مالك، بأي شيء تحبين أن تموتي؟ قلت: بالطاعون، قال: فإنه شهادة لكل مسلم[٣].

نائلة بنت الفرافصة:

قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان: هل لك في ابنة عم لي بكر، جميلة، ممتلئة الخلق، أسيلة الخد، أصيلة الرأي، تتزوجها؟ قال: نعم، فذكرت له نائلة بنت الفرافصة الكلبية، فتزوجها وهي نصرانية، فتحنَّفت، وحُملت إليه من بلاد كلب، فلما دخلت عليه، قال لها: لعلك تكرهين ما ترين من شيبي؟ قالت: والله يا أمير المؤمنين إني من نسوة أحَبُّ أزواجهنَّ إليهنَّ الكهل. قال: إني قد جزت الكهول، وأنا

---

(١) أنساب الأشراف: ١/٤٠٧.

(٢) نساء لهن مواقف: ١٣٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ٨/٤٨٤.

شيخ. قالت: أذهبت شبابك مع رسول الله ﷺ في خير ما ذهبت فيه الأعمار، قال: أتقومين إلينا، أم نقوم إليك؟ قالت: ما قطعت إليك أرض السماوة وأريد أن أنثني إلى عُرض البيت. وقامت إليه[١].

معاذة بنت عبد الله العدوية:

قالت معاذة العدوية: والله ما أحب البقاء في الدنيا للذيذ عيش، ولا لرَوْح نسيم، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل، لعله يجمع بيني وبين أبي الشعثاء وابنه في الجنة[٢].

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله:

❖ كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله تحت مصعب بن الزبير، فعتبت عليه بسبب بعض جواريه، فهجرته، فبلغ ذلك منه، وانفتق عليه فتق بالبصرة، فثار إليه، فرتقه ورجع، فقالت لها أم حبيبة امرأة أبي فروة: لو صرت إلى الأمير فأهديت إليه التهنئة بظفره، لسره ذلك.

فقامت نحوه، فلما رآها مصعب، قال: مرحباً بالغضبان العاتب، ثم أنشأ يقول:

ونَهْتَجِرُ الأيامَ ثم يَرُدُّنا إلى ... الوَصْلِ أَنَّا لم يكنْ بيننا دَخْلُ

فقالت: والله لولا التهنئة لطال الإعراض، ثم أهوت إليه فعانقته، فقال: معذرة من سهك الحديد. فقالت: أَوَ ذَنْبٌ ذاك؟ لهو أطيب من ريح

---

(١) العقد الفريد: ٦/٩١.

(٢) نساء لهن مواقف: ١٥٢.

المسك! ثم قالت: أفلح الوجه، وعلا العقب، وليهنك الظفر، يا جواري أرخين الستور وانصرفن. فَخَلَوْ لشأنهما[١].

❖ ودخل مصعب بن الزبير على زوجته عائشة بنت طلحة بن عبيدالله التيمية، ومعه لؤلؤ قيمته عشرون ألفاً، فوجدها نائمة، فأيقظها، ونثر اللؤلؤ في حجرها، فقالت له: نومتي كانت أحب إليَّ من هذا اللؤلؤ[٢]!

❖ وكتب أبان بن سعيد إلى أخيه يحيى بن سعيد يخطب عليه عائشة بنت طلحة، ففعل، فقالت ليحيى: ما أنزل أبان أيلة؟ قال: أراد رخص سعرها، وأراد العزلة، فقالت: اكتب إليه عني:

حَلَلْتَ محلَّ الضَّبِّ لا أنت ضائرٌ عدوّاً ولا مُستَنْفَعٌ بِكَ نَافِعْ

وردته[٣].

زينب بنت الزبير بن العوّام:

عن مصعب الزبيري، قال: قدمت زينب بنت الزبير بن العوام مكة، فخطبها رجل من بني أمية قد كانت هي وأمه قبل ذلك عند رجل من قريش، فأبت، فقيل لها في ذلك، فقالت: أكره ثلاث خلال: لم أكن لأرجع في أرض هاجر منها أبائي، ولم أكن جئت على ظهر بعير لأتزوج، وما كنت لأكون كنة بعد أن كنت ضرة[٤]!

---

(١) تاريخ دمشق – تراجم النساء: ٢١٩.

(٢) أحكام النساء: ٤٤٦.

(٣) تاريخ دمشق – تراجم النساء: ٢٢٠.

(٤) بلاغات النساء: ١٩٤.

أم حبيب بنت عبد الله بن الأهتم:

حجت أم حبيب بنت عبد الله بن الأهتم، فبعث إليها الحسن بن علي بن أبي طالب فخطبها، فقالت: إني لم آتِ هذه البلدة للتزويج، وإنما جئت لزيارة هذا البيت، فإذا قدمت بلدي، وكانت لك حاجة فشأنك! قال: فازداد فيها رغبة، فلما صارت إلى البصرة أرسل إليها فخطبها، فقال إخوتها، إنها امرأة لا يُفْتَاتُ على مثلها برأي، وأتوها فأخبروها الخبر، فقالت: إن تزوجني على حكمي أجبته، فأدوا ذلك إليه، فقال: امرأة من تميم، أتزوجها على حكمها، ثم قال: وما عسى أن يبلغ حكمها لها؟ قال: فأعطاها ذلك، فقالت: قد حكمتُ بصداق أزواج النبي ﷺ وبناته، اثني عشر أوقية. فتزوجها على ذلك وأهدى لها مائة ألف درهم، فجاءت إليه، فبنى بها في ليلة قائظة على سطح لا حِظَار عليه، فلما غلبته عينه، أخذت خمارها فشدته في رجله، وشدت الطرف الآخر في رجلها، فلما انتبه من نومه رأى الخمار في رجله، فقال: ما هذا؟! قالت: أنا على سطح ليس عليه حظار، ومعي في الدار ضرائر، ولم آمَنْ عليك وَسَن النوم، ففعلت هذا حتى إذا تحركت تحركت معك، قال: فازداد فيها رغبة، وبها عجباً، ثم لم يلبث أن مات عنها، فكلموها في الصلح عن ميراثه، فقالت: ما كنت لأخذ له ميراثاً أبداً! وخرجت إلى البصرة، فبعث إليها نفر يخطبونها، منهم يزيد بن معاوية، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن عامر، فأتاها إخوتها، فقالوا لها: هذا ابن أمير المؤمنين، وهذا ابن عمة رسول الله ﷺ، وهذا ابن

حواريه، وهذا ابن عامر أمير البصرة، اختاري من شئت منهم. قال: فردتهم جميعاً، وقالت: ما كنت لأتخذ حِماً بعد ابن رسول الله ﷺ[١]!

علية بنت المهدي:

كانت علية بنت المهدي كثيرة الصلاة، وقراءة القرآن، وكانت تتزين وتقول: ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما أحل عوضاً منه، فبماذا يحتج العاصي؟!

وكانت تقول: اللهم لا تغفر لي حراماً أتيته، ولا استفزني لهو إلا ذكرت نسبي من رسول الله ﷺ، فقصرت عنه[٢].

الرباب بنت امرئ القيس بن عدي:

لما قتل الحسين رضي الله عنه خُطبت، فقالت: والله لا اتخذت حمواً بعد رسول الله ﷺ[٣].

هند بنت المهلب:

لما قتل المفضل بن المهلب، دخل ثابت قطنة العتكي على هند بنت المهلب، والناس حولها جلوس يعزونها، فأنشدها:

يا هندُ كيف بنُصبٍ بات يبكيني ... وعائرٍ في سوادِ الليلِ يؤذيني
لما حنى الدهر من قوسي وع، ذرني ... قاسيت منه أمَرَّ الغلظِ واللّينِ
إذا ذكرتُ أبا غسانَ أرَّقني ... هَمٌّ إذا عَرَّسَ السارُونَ يشجيني

---

(١) نثر الدرر: ٤/٩٥ ــ ٩٦.

(٢) أحكام النساء: ٤٤٨.

(٣) المحبر: ٣٩٧.

كان المفضّلُ عزاً في ذرا يمنٍ وعصمةً وثمالاً في المساكينِ
ما زلتُ بعدك في همٍّ تجيش به نفسي وفي نصبٍ قد كان يسليني
إني تذكرتُ قَتْلَى لو شهدتم في حومة الموت لم يصلوا بها دوني
لا خير في العيش إن لم أجن بعدهم حرباً تنئ بهم قتلى فيشفوني

فقالت له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيت الحق، وما من المزرئة بُد، وكم من ميتة ميت أشرف من حياة حي، وليست المصيبة في قتل من استشهد ذاباً عن دينه، مطيعاً لربه، وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته، وخمل ذكره بعد موته، وأرجو أن لا يكون المفضل عند الله خاملاً[1].

ابنة حاتم الأصم:

اختار بعض الأمراء بنات حاتم الأصم، فطلب ماء فسقى، فرمى إليهم شيئاً من المال، فوافقه أصحابه، فبكت بنية صغيرة لحاتم، فقالوا: ما يبكيك؟! قالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى[2]؟!

مؤمنة الصغيرة:

عن ابن أبي الحواري قال: قالت لي مؤمنة الصغيرة: أنا في شيء قد شغل قلبي، قلت: ما هو؟ قالت: أريد أن أعرف نعمة الله عليَّ طرفة عين، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة طرفة عين! فقلت لها: أنت تريدين ما لا تهتدي إليه عقولنا[3]!

---

(١) المرأة العربية: ٢/٢٠١.
(٢) أحكام النساء: ٤٥٨.
(٣) الحدائق الغناء: ٣٣.

عبدة البصرية:

سمعت عبدة عبدة البصرية قائلاً يقول: ما أشد العمى على من كان بصيراً! فقالت: يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين! وددت أن الله وهب لي كنه محبته، وأنه لم يبق مني جارحة إلا أخذها[١]!

بوران بنت محمد بن الشحنة:

لما احتضرت حمدت الله تعالى على أنه لم يكن في صندوقها إذ ذاك درهم ولا دينار[٢]!

قطر الندى بنت خُمارَوَيْهِ بن أحمد بن طولون:

إن المعتضد قال لها يوماً: بم تشكرين الله إذ جعل أمير المؤمنين زوجك؟ فقالت: بما يشكر به أمير المؤمنين إذ جعل أحمد بن طولون من رعيته[٣]!

أعرابية:

عن أبان بن تغلب، قال: جلست إلى أعرابية كانت تعرف بالبلاغة، فمر بها رجل من قومها يسحب حُلَّة عليه، فقالت: يا صاحب الحلة إن الكرم واللؤم ليسا في بردتك هذه، ولكنها تحتها، فليحسن فعلك يحسن لباسك، ولو لبست طِمْراً ما شانك[٤].

كانت تلك نماذج تعكس لنا ذلك الجانب المشرق في حياة المرأة المسلمة،

---

(١) المرأة العربية: ٣/٩٧.

(٢) الكواكب السائرة: ٢/١٢٩.

(٣) نساء الخلفاء: ١٠٥.

(٤) بلاغات النساء: ٦٠.

وأنها ليست دون تلك المعاني، وهي نماذج تكثر مثيلاتها في المصادر، وإنما أردنا الإشارة إلى بعضها، وسيأتي في الكتاب الكثير من الأخبار التي تدل على أن المرأة المسلمة ليست بمنأى عن المنافسة في تحصيل معالي الأمور، ورفيع الدرجات.



المرأة وعلو الهمة في طلب العلم

كان الابتداء بالعلم - في أول فصول هذا الكتاب - لشرفه، وكرم منزلته، وإذ أن الأفعال والأقوال لا تصح إلاَّ به، والعامل بغير علم كالمسافر بغير زاد، فالجهل أصل الآفات، ومنتهى السيئات، والجهل أشد إفساداً للعمل من الخل للعسل.

فإلى هذه الأخبار التي تظهر من خلالها تلك الروائع للمرأة المسلمة، وهي في ميدان العلم النافع.

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

❖ قال الزهري: لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل[1].

❖ وعن قبيصة بن ذؤيب، قال: كانت عائشة أعلم الناس يسألها أكابر الصحابة[2].

❖ وقال عروة بن الزبير: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال وحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا النسب من عائشة رضي الله عنها[3].

❖ وعن مسروق أنه قيل له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ فقال:

---

(١) نساء لهن مواقف: ٥٩.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١/٢٨.

(٣) المرجع السابق: نفس المجلد والصفحة.

لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض[١].

❖ وقال عائشة رضي الله عنها: رويت للبيد نحواً من ألف بيت[٢]!

عمرة بنت عبد الرحمن:

❖ قال ابن حبان: كانت من أعلم الناس بحديث عائشة[٣].

❖ وعن محمد بن عبد الرحمن، قال لي عمر بن عبد العزيز: ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة من عمرة[٤].

❖ وعن ابن شهاب، عن القاسم بن محمد أنه قال لي: يا غلام، أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى، قال: عليك بعمرة، فإنها كانت في حجر عائشة رضي الله عنها، قال: فأتيتها، فوجدتها بحراً لا يُنْزَف[٥]!

فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي -زوجة الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني- صاحب البدائع:

قال ابن العديم: حكى والدي أنها كانت تنقل المذهب نقلاً جيداً، وكان زوجها الكاساني ربما يَهِمُ في الفتيا، فترده إلى الصواب، وتُعرِّفُهُ وجه الخطأ، فيرجع إلى قولها.

---

(١) أنساب الأشراف: ٤١٨/١.
(٢) نساء لهن مواقف: ٦١.
(٣) تهذيب التهذيب: ٤٣٩/١٢.
(٤) المرجع السابق نفس والمجلد ونفس الصفحة.
(٥) تذكرة الحفاظ: ٢٨/١.

قال: وكانت تفتي، وكان زوجها يحترمها، ويكرمها، وكانت الفتوى أولاً يخرج عليها خطها وخط أبيها السمرقندي، فلما تزوجت بالكاساني صاحب (البدائع) كانت الفتوى تخرج بخط الثلاثة[1].

فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح:

❖ قال صلاح الدين الصفدي: وكانت تدري الفقه وغوامضه الدقيقة، ومسائله العويصة، التي تدور مباحها بين المجاز والحقيقة، وكان ابن تيمية رحمه الله تعالى يتعجب من علمها، ويثني على ذكائها، وخشوعها وبكائها.

❖ وقال صلاح الدين الصفدي: وحكى لي أيضاً أنها بحثت مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل في الحيض، وراجت عليه، ثم قالت: أنت تدري هذا علماً، وأنا أدريه علماً وعملاً[2].

أمة الواحد بنت القاضي الحسين المحاملي:

قرأت القرآن، والفقه، والنحو، وعلم الفرائض، وأتقنت الجميع، ودرست في دارها النساء المخدرات، قرأ عليها كثير من النساء، وكان في عصرها وقطرها لا تحتاج النساء إلى سؤال مسألة لأحد من العلماء، لأنَّها كفت الجميع ما يحتاجون إليه، وهو قراءة القرآن ومسائل الفقه، والفرائض[3].

---

(١) الجواهر المضية: ١٢٣/٤.

(٢) أعيان العصر: ٢٨/٤، ٢٩.

(٣) الروضة الفيحاء: ٢٨٣.

زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية المعروفة ببنت الكمال:

قال الذهبي: تفردت بقدر وقر بعير من الأجزاء بالإجازة، وكانت دينة، خيرة، روت الكثير، وتزاحم عليها الطلبة، وقرأوا عليها الكتب الكبار، وكانت لطيفة الأخلاق، طويلة الروح، ربما سمعوا عليها أكثر النهار، قال: وكانت قانعة، متعففة، كريمة النفس، طيبة الخلق[١]..

ست العرب بنت محمد ابن الشيخ فخر الدين أبي الحسن علي بن أحمد الشهير جدها بابن البخاري المقدسية الصالحية:

قال صاحب الذيل على العبر: وحدثت فأوسعت وانتشر عنها حديث كثير، وسمع عليها الأئمة والرحالون، وطال عمرها، وانتفع بها، وحضرت عليها كثيراً من مروياتها، حدثنا عنها والدي، والهيثمي مرات كثيرة[٢].

جويرة بنت الشيخ الإمام المحدث شهاب الدين أحمد بن أحمد بن الحسين بن موسى الحكاري:

قال صاحب الذيل على العبر: وسمعت بإفادة والدها على أبي الحسن علي بن نصر الله بن الصواف مسموعه من النسائي وهو غالبه، ومسند الحميدي، وعلى أبي الحسن علي بن عيسى ابن القيم قطعة من صحيح الإسماعيلي، والأول من حديث سفيان بن عيينة، وعلى وزيرة بنت عمر التنوخية، وأبي العباس الحجار صحيح البخاري، وعلى أبي الحسن علي بن محمد بن هارون الثعلبي مجلساً من أمالي نصر المقدسي، وغير ذلك، وحضرت في الثالثة، على

---

(١) الدرر الكامنة: ٢/٢٠٩ ـــ ٢١٠.

(٢) الذيل على العبر: ١/١٩٩.

الشريف عز الدين موسى بن علي بن أبي طالب الحسيني مشيخة الإربلي، وسمعت على محمد بن محمد بن عيسى الطباخ الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، وعلى زينب بنت شكر الثاني من حديث ابن السماك، وعلى مثقال الأشرفي جزءاً فيه مجلسا البحيري والشافعي، وعلى حسن بن عمر الكردي، مسندي الدارمي، وعبد بن حميد، وعلى الإمام كمال الدين أحمد بن محمد ابن الشريشي جزء الحسن بن عرفة، وسمعت جميع ما ذكرته عليها، وسمعت غير ذلك على غير هؤلاء، وأكثر المحدثون السماع عليها، وطال عمرها، وحصل النفع بها في ذلك، وكانت جيدة، صالحة رحمها الله تعالى[1].

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية الصالحية:

قال العليمي: وحضرت في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاري على مسند الآفاق أبي العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم الصالحي الحجار وروت عن خلق، وروى عنها الحافظ ابن حجر، وقرأ عليها كتباً عديدة.. وكانت في آخر عمرها أسند أهل زمانها، مكثرة سماعاً وشيوخاً[2].

والدة علي بن إبراهيم بن نجا الأنصاري الواعظ المفسر زين الدين أبو الحسن:

قال العليمي عن والدته: كانت صالحة، حافظة، تعرف التفسير، وقيل: إنها كانت تحفظ كتاب الجواهر، وهو ثلاثون مجلداً، تأليف والدها الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، وأُقعدت أربعين سنة في محرابها[3].

---

(١) المرجع السابق: ٢/٥١٢ ــ ٥١٤.
(٢) المنهج الأحمد: ٥/٢٠١.
(٣) المرجع السابق: ٤/٤٧.

زينب أم المؤيد ابنة الشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني:

قال الذهبي: وحدثت أكثر من ستين سنة، روى عنها: عبد العزيزبن هلالة، وابن نقطة، والبرزالي، والضياء، وابن الصلاح، والشرف المرسي، والصريفيني، والصدر البكرى، محمد بن سعد الهاشمي، والمحب بن النجار وجماعة كثيرة[١].

كريمة بنت أحمد المروزية:

قال ابن كثير: كانتْ عالمة، صالحة، سمعتْ صحيح البخاري على الكشميهني، وقرأ عليها الأئمة كالخطيب، وأبي المظفر السَّمعاني وغيرهما[٢].

الشريفة فاطمة بنت أحمد بن يحيى:

قال الشَّوكاني: وكان زوجها الإمام المطهر يرجع إليها فيما يشكل عليه من مسائل، وإذا ضايقة التَّلامذة في بحث؛ دخل إليها، فتفيده الصواب، فيخرج بذلك إليهم، فيقولون: ليس هذا منك، هو من خلف الحجاب[٣]!

هذه هي المرأة المسلمة وعلو همتها في دنيا العلم ولا تنس أن الإمام السيوطي ترجم في كتابه (المنجم في المعجم) لاثنتين وأربعين امرأة ممَّن تلقَّى عنهم العلم، وهو حال كثيرٍ من المشاهير من أهل العلم تجد في ثبت شيوخهم بعض النِّسوة ممَّن أخذوا عنهنَّ العلم.



---

(١) تاريخ الإسلام: ٢٣٩.

(٢) البداية والنهاية: ١٢/٥٧٠.

(٣) البدر الطالع: ٢/٢٤.

المرأة وعلو الهمة في صدق الإيمان

ما زان المرء أزين من الإيمان، وما ارتدى رداءً أبهى منه، فإنَّ قيمة المرء بما يحمل من معان، وليت شعري أي معنى أرفع من الإيمان! فإلى نساء صدقن في إيمانهنَّ.

امرأة من المهاجرات:

عن ابن سيرين: أنَّ أبا بكر ﷺ أُتي بمال فقسَّمه بين النَّاس، فبعث منه إلى امرأة من المهاجرات، فلمَّا أُتيت به، قالت: ماهذا؟! قالوا: أبو بكر جاءه مال، قسَّمه في النَّاس، فقسَّم منه في نظرائك، فقالت: أتخافونني أن أدع الإسلام؟! قالوا: لا، قالت: أفترشونني على ديني؟! قالوا: لا. قالت: لا حاجة لي فيه[1]!

أم سليم الأنصارية رضي الله عنها:

❖ لَّما دخل النَّبيُّ ﷺ المدينة مهاجراً، دخلت عليه أم سليم رضي الله عنها ومعها ابنها أنس وهو يومئذ صغير، فقالت: يا رسولَ الله، لم يبق رجلٌ ولا امرأةٌ من الأنصار، إلا وقد أتحفك بتحفة، وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلا ابني هذا، فخذه فليخدمك، ما بدا لك[2].

❖ ولَّما تقدَّم أبو طلحة الأنصاري لخطبة أم سليم، وكان يومها غير مسلم، فقالت له أم سليم: يا أبا طلحة، ألست تعلم أنَّ إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟! قال: بلى، فقالت: أفلا تستحي تعبد شجرة؟!

ثمَّ قالت: إن أسلمت فإنِّي لا أريد منك صداقاً غيره!

---

(١) أحكام النساء: ٤٤١.

(٢) نساء لهن مواقف: ١٠٢.

فقال: حتَّى أنظر في أمري، فذهب، ثم جاء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، فقالت: يا أنس زوِّج أبا طلحة، فزوجها.

قال ثابت البناني: فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم: الإسلام[١]!

أم بشر بنت البراء بن معرور رضي الله عنهم:

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: لَّما حضرت كعباً الوفاة أتته أم بشر بنت البراء بن معرور، قالت: يا أبا عبد الرحمن إن لقيت أبي فاقرأه مني السلام. فقال: لعمر الله يا أم بشر لنحن أشغل من ذلك! فقالت: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن أرواح المؤمنين نسمة تسرح في الجنة حيث تشاء، وإن نسمة الفاجر في سجين**»؟! قال: بلى، قالت: هو ذاك[٢].

عفراء بنت عبيد الأنصارية:

شهد أبناؤها السبعة بدراً ـ إياس وعاقل وخالد وعامر وعوف ومعاذ ومعوذ ـ استشهد ثلاثة في بدر: عاقل وعوف ومعوذ.

لما استشهد ولداها عوف ومعوذ وبقي معاذ، جاءت رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله بقي شر ولدي! ـ أي لأنَّه لم ينل الشَّهادة في سبيل الله ـ فقال ﷺ: « **لا** »[٣].

---

(١) المرجع السابق: ١٠٤ ــ ١٠٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: ٨/١٧٦.

(٣) نساء من عصر النبوة: ١/٢٧٨.

أمرأة من الأنصار:

عن أنس ﷺ قال: لَمَّا كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة، وقالوا: قُتل محمد، حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار، فاسْتُقْبِلَتْ بأخيها وأبيها وزوجها وابنها، لا أدرى بأيهم استقبلت أولاً، فلمَّا مرت على آخرهم، قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك! قالت: فما فعل النَّبيُّ ﷺ؟! قالوا: أمامك. فذهبت إلى رسول الله ﷺ، فأخذت بناحية ثوبه، ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذا سلمتَ من عطب(١)!

المتدبرة للقرآن:

عن عبد الملك بن شبيب عن رجل من ولد ابن أبي ليلى، قال: دخلت على امرأة وأنا أقرأ سورة هود، فقالتْ لي: يا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة هود؟! والله إنِّي لفيها منذ ستَّة أشهر ما فرغت من قراءتها(٢)!

الخنساء بنت عمرو:

قال عمر بن الخطاب ﷺ للخنساء: ما أقرح مآقي عينيك؟! قالت: بكائي على السادات من مضر. قال: يا خنساء إنهم في النار! قالت: ذاك أطول لعويلي عليهم، وقالت: كنت أبكي لصخر على الحياة، فأنا اليوم أبكي له من النار(٣)!

---

(١) صفة الصفوة: ٢/٧٤.

(٢) صفة الصفوة: ٣/١٩٢.

(٣) أعلام النساء: ١/٣٦٨.

مريم البصرية:

قالت مريم البصرية: ما أهتممت بالرزق، ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[١].

امرأة من البادية:

حدَّث ابن السماك عن امرأة كانت تسكن البادية قال: سمعتها تقول: لو تطالعت قلوب المؤمنين بفكرها إلى ما ادخر لها في حجب الغيوب من خير الآخرة؛ لم يَصْفُ لهم عيش، ولم تقر لهم في الدنيا عين[٢].

أخت إبراهيم الخواص:

دق داق باب إبراهيم الخواص، فقالت له أخته: من تطلب؟ فقال: إبراهيم الخواص، فقالت: قد خرج. فقال: متى يرجع؟ فقالت: من روحه بيد غيره من يعلم متى يرجع[٣]؟!



(١) صفة الصفوة: ٢/٥٢٧.
(٢) مثير العزم الساكن: ١/١٧٩.
(٣) صفة الصفوة: ٢/٥٢٧.

المرأة وعلو الهمة في الصدق مع الله تعالى

إذا كان الصدق مع الخلق له تلك المرتبة العالية فكيف بالصدق مع الله تعالى؟! فللّه در أولئك الفائزين بذاك الوسام الرفيع! ذلك الوسام الذي لا يُمنحه إلا قلّة يسيرة. فإلى بعض تلك النماذج ونحن نستجلى ذلك في حياة المرأة المسلمة.

نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ:

لما احتضرت نفيسة بنت الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب ﷺ كانت صائمة، فألزموها بالفطر وألحوا وأبرموا، فقالت: واعجباً منذ ثلاثين سنة أسال الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة أأُفطر الآن؟! هذا لا يكون! ثمَّ قرأت سورة الأنعام، وكان الليل قد هدأ، فلمَّا وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾ غشى عليها، ثم شهدت شهادة الحق، وقبضت إلى رحمة الله[1].

فاطمة بنت محمد الفهري:

قال ابن أبي زرع: كان موضع مسجد القرويين أرضاً بيضاء لرجل من هوارة كان والده قد حازها أيَّام بناء فاس، ولَّما قدم وفد القيروان على إدريس الأصغر، كان فيهم امرأة اسمها فاطمة بنت محمد الفهري، وتكنى أم البنين، فنزلت في أهل بيتها بالقرب من موضع المسجد المذكور، ثم مات

---

(١) أعلام النساء: ٥/١٨٩.

زوجها وإخوتها، فورثت منهم مالاً جسيماً، وكان من حلال، فأرادت أن تنفقه في وجوه الخير، وكانت لها نية صالحة، فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه عند الله، فاشترت البقعة من ربها، وشرعت في حفر أساس المسجد وبناء جدرانه، وذلك يوم السبت فاتح رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين، فبنته بالطابية والكدان وكانت الطريقة التي سلكتها في بنائه أنَّها التزمت أن تأخذ التراب وغيره من مادة البناء من نفس البقعة، دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها، فحفرت في أعماقها كهوفاً، وجعلت تستخرج منها التراب الجيد والحجر الكدان، وتبنى به، وأنبطت بها بئراً يستقى منها الماء للبناء والشرب وغير ذلك، وكان ذلك كله تحرياً منها أن لا تُدخل في بناء المسجد شبهة، فعادت بركة نيتها وورعها على المسجد المذكور ....

قالوا: ولم تزل فاطمة المذكورة صائمة من يوم شرع في بنائه إلى أن تم، وصلَّت فيه شكراً لله تعالى[1].



(١) الاستقصا: ١/١٧٥ـ١٧٦.

المراة وعلو الهمة في الثقة بالله

إن الثقة بالله تعالى هي عنوان التوكل الصادق، وهم أقوام صدقوا في باب عظيم قلَّ والجوه، فإلى هذه الباقة من أخبار الواثقات.

بنت امرأة عابدة:

قال حماد بن سلمة: ألح المطر علينا سنة من السنين، وفي جواري أمرأة متعبدة لها بنات أيتام، فوكف السقف عليهم، فسمعتها وهي تقول: يا رفيق ارفق بي. فسكن المطر على المكان، فأخذت صرة فيها عشرة دنانير، وقرعت بابها، قالت: اجعله حماد بن سلمة قلت: أنا حماد بن سلمة سمعت وقد تأذيت بالمطر، فقلت: يا رفيق ارفق بي، فما بلغ من رفقه بك؟ قالت: سكن المطر، وأدفأ الصبيان، وجفف البيت. فأخرجت الدنانير، وقلت: انتفعي بهذه. فإذا صبية خماسية عليها مدرعة صوف يستبين خروقها، وقد خرجت عليَّ، وقالت: ألا تسكت ياحماد، تعترض بيننا وبين ربنا مولانا؟! ثم قالت: يا أمه، قد علمنا أنَّه لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا، ليطردنا من بابه! ثم ألصقت خدها بالتراب، وقالت: أما أنا وعزتك لا زايلت بابك، وإن طردتني! ثم قالت: يا حماد عافاك الله، دنانيرك إلي الموضع الذي أخرجتها منه، فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس[1]!

---

(١) كتاب الرقة: ٢٠٢.

امرأة من البادية

عن البرقي قال: رأيت امرأة بالبادية، وقد جاء البَرَد، فذهب بزرع كان لها، فجاء الناس يعزونها، فرفعت طرفها إلى السماء، وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك التعويض عما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك وآمالنا مصروفة إليك. قال: فلم أبرح حتى جاء رجل من الأجلاء، فحُدِّث بما كان، فوهب لها خمسمائة دينار[1].



(١) الفرج بعد الشدة: ١٨١/١.

المرأة وعلو الهمة في محاسبة النفس وجهاد النفس

محاسبة النفس وجهادها منزلتان حام حولهما الصادقون، ودندن حولهما المشمرون، ساقوا النفس بسوط المحاسبة، وزموها بزمام المجاهدة، فماذا عن أرباب الهمم العاليات في هذا الميدان؟!

*** محاسبة النفس:**

مؤمنة المتعبدة:

عن ابن أبي الحواري، قال: قالت لي مؤمنة المتعبدة: أنا في شيء قد شغل قلبي. قلت: ما هو؟ قالت: أريد أن أعرف نعمة الله عليَّ في طرفة عين، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة عليَّ في طرفة عين! قلت لها: أنت تريدين ما لا تهتدى إليه عقولنا[١]!

امرأة من البادية:

قال الأحوص: دخلت البادية، فإذا امرأة حسناء لها رجل قبيح، فقلت لها: كيف رضيت لنفسك أن تكوني تحت مثله؟! فقالت: لعلَّه أحسن فيما بينه وبين خالقه، فجعلني ثوابه، ولعلي أسأت فجعله عقوبتي[٢].

سويَّة اليمنيَّة:

كانت تقول: يا ربِّ أراك خلقت سوية من طينة لازبة، غمرتها بنعمتك، تغذوها من حال إلى حال، وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها

---

(١) كتاب الشكر لله عز وجل: ١٣٧.

(٢) أحكام النساء: ٧٣.

جميل، وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك، فلتة في إثر فلتة.. أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعالها؟! بلى وأنت على كل شيء قدير[1].

زبيدة زوجة هارون الرشيد:

قيل: إن زبيدة زوجة هارون الرشيد كتبت إلى منصور بن عمار: أما بعد: فكيف يقف ذو اللب على ما ينفعه؟ وكيف يجتنب ما يضره؟

فكتب إليها: أما بعد: فمن أبصر عيب نفسه شُغل عن عيب غيره، ومن تعرَّى عن لباس التقوى لم يستتر من اللباس ومن رضي برزق الله تعالى لم يحزن على ما في يدي غيره، ومن سلَّ سيف البغى قُتل به، ومن احتفر بئراً لأخيه وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيعته، ومن نسي زلته استعظم زلَّة غيره، ومن كابد الأمور عطب، ومن اقتحم اللُّجج غرق، ومن أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زلَّ، ومن تكبر على الناس ذلَّ، ومن فجر عليهم قُصِمْ، ومن سفه عليهم شُتِم، ومن خالط الأراذلَ حُقِر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتُّهِمْ، ومن تهاون بالدين ارتطم، ومن اغتنم أموال الناس افتقر، ومن انتظر العاقبة اصطبر، ومن خشي الله فاز، ومن لم يجرب الأمور قُتل، ومن صارع دهر الحق صُرِع، ومن احتمل ما لا يطيق عجز، ومن كثر غلطه كثر سقطه، ومن عرف أجله قصر أمله، ومن استفاد الجهل فقد ترك طريق العدل.

---

(١) نساء زاهدات: ٢٩.

فكتبت إليه: فإنا قد وقفنا على عيوب النفس، فكيف لا نقف على عيوب الدنيا؟

فكتب إليها: أما بعد: فإن الدنيا من طلبها طلبته، ومن داهنها كَلَمَتْهُ، ومن صادقها قتلته، ومن اطمأن إليها خذلته، ومن رفضها رفضته، ومن تركها ولم يخدمها خدمته، استحسنها من جهلها، واستنكرها من عرفها، نجا الناجون عند إدبارها، وهلك الهالكون عند إقبالها، فالعاقل يجعل الزهد حسامه، والحق حسامه، والورع قوسه، والنصيحة درعه، والقنوع رمحه، وكتاب الله عز وجل حماه، والرفق مركبه، والعقل تجافيفه، والعمل عُدَّتَهُ، والأمال بأسه، والنية جُنَّتُهُ، والصمت ترسه، والتقوى طليعته، وخشية الله تعالى حصنه، والسلام[1].

*** جهاد النفس:**

أم طلق:

قالت أم طلق: ما ملَّكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطان!

وقالت: النفس ملك إن اتبعتها، ومملوك إذا أتعبتها[2].

بحرية العابدة:

قالت بحرية العابدة: إذا ترك القلب الشهوات ألف العلم، واتبعه، واحتمل كل ما يرد عليه[3].



---

(١) عين الأدب: ٢٨٤ـــ٢٨٥.

(٢) نساء زاهدات: ٣٢.

(٣) أعلام النساء: ١/١٢٠.

المرأة وعلو الهمة في المراقبة

إنَّها منزلة الإحسان، فما أشرفها من منزلة! وما أشرف أهلها! أن تذكر علم الله تعالى، وأنه يراك، وجميل أن أسوق بين يدي هذا العنوان عبارات لبعض النسوة ممن نحن بصدد نقل أخبارهن من الصالحات.

زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

قالت زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: من أراد أن يكون الخلق شفعاءه إلى الله؛ فليحمده، ألم تسمع قولهم: سمع الله لمن حمده، فَخَفِ الله لقدرته عليك، واستح منه لقربه منك[١]...

فاطمة النيسابورية:

سمع ذو النون فاطمة النيسابورية تقول: من لم يكن الله منه على بال؛ فإنه يتخطى في كل ميدان، ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بال؛ أخرسه إلا عن الصدق، وألزمه الحياء منه والإخلاص[٢].

امرأة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ:

عن السائب بن جبير مولى ابن عباس، وكان قد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ، قال: ما زلنا نسمع حديث عمر بن الخطاب ﷺ هذا: أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيراً، إذ مر بامرأة من نساء

---

(١) نساء فاضلات: ٦٥.

(٢) نساء زاهدات: ٣٣.

العرب، مغلقة عليها بابها، وهي تقول:

تطاول هذا الليلُ تسري كواكبُه ... وأرَّقَني أن لا ضجيعَ أُلاعبُهْ
أُلاعبُهُ طوراً وطوراً كأنَّما ... بَدَا قمرٌ في ظلمةِ الليلِ حاجبُهْ
يُسَرُّ به من كان يلهو بقربِهِ ... لطيف الحَشا لا تجتويه صواحبُهْ
فوالله لولا اللهُ لا شيء غيره ... لَنُقِّضَ من هذا السرير جوانبُهْ
ولكنني أخشى رقيباً موكلاً ... بأنفسنا لا يفتر الدَّهرَ كاتبُهْ

ثم تنفست الصعداء، وقالت: لهان على عمر بن الخطاب وحشتي، وغيبة زوجي عني، وعمر واقف يستمع قولها، فقال لها: يرحمك الله، يرحمك الله.

ثم وجه إليها بكسوة ونفقة، وكتب في أن يقدم زوجها عليها[1].

امرأة أخرى في عهد عمر بن الخطاب ﷺ

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده، قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب ﷺ وهو يعس المدينة إذ أعيا، فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء. فقالت: يا أمَّتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟! قالت: وما كان من عزمته يا بنية؟! قالت: إنه أمر منادياً فنادى ألا يُشاب اللبن بالماء. فقالت لها: يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك في موضع لا يراك عمر! فقالت الصبية لأمها: ما كنت لأطيعه في الملأ، وأعصيه في

(١) الجليس الصالح الكافي: ٣/٣٤٤ ـ ٣٤٥.

الخلاء! وعمر يسمع ذلك، فقال: يا أسلم علِّم الباب، واعرف الموضع. ثم مضى في عشيته، فلما أصبح، قال: يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة، ومن المقول لها، وهل لهم من بعل. قال: فأتيت الموضع، فنظرت، فإذا الجارية أيم، وإذا تلك أمها، وإذا ليس لهم رجل، فأتيت عمر فأخبرته، فدعا ولده، فجمعهم، قال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء، ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية. فقال عبد الله: لي زوجة. وقال عبد الرحمن: لي زوجة. وقال عاصم: لا زوجه لي فزوجني. فبعث إلى الجارية، فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز[1].

جارية من البادية:

رُوي عن بعضهم أنَّه قال: بينا أنا ذات يوم بالبادية، فخرجت في بعض الليالي في الظُّلمَ، فإذا أنا بجارية كأنَّها عَلَم، فأردتها على نفسها، فقالت: ويحك! أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟! قلت لها: والله ما يرانا شيء إلا الكواكب. قالت: ويحك! وأين مكوكبها[2]؟!

امرأة من البادية:

حُكي أن رجلاً تعلق قلبه بامرأة، فخرجت تلك المرأة إلى حاجة لها، فذهب الرجل معها، فلما خلا بها في البادية، ونام الناس، أفشى سره

---

(١) أحكام النساء: ٤٤١ــ٤٤٢.

(٢) نثر الدرر: ٤/٩٦.

إليها، فقالت له المرأة: انظر أنام الناس بأجمعهم. ففرح الرجل بقولها، وظن أنها قد أجابته، فقام وطاف حول القافلة، فإذا الناس نيام، فرجع إليها، وقال لها: نعم، هم نيام. فقالت: ما تقول في الله تعالى، أنائم في هذه الساعة؟! فقال الرجل: إن الله تعالى لا نيام، ولا تأخذه سنة ولا نوم! فقالت المرأة: إن الذي لم ينم ولا ينام يرانا، وإن كان الناس لا يروننا، فذلك أولى أن يُخاف! فتركها الرجل خوفاً من الخالق، وتاب، ورجع إلى وطنه، فلما توفي رأوه في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بخوفي وتركي ذلك الذنب(١).



(١) مكاشفة القلوب: ٩.

المرأة وعلو الهمة في العبادة

العبادة تلك الغاية العظيمة التي خلق الله العباد من أجلها، فأوفاهم حظاً منها أقربهم إليه مكانة، وفي هذا الفصل سأذكر قدراً صالحاً من قصص العابدات، وقد اشتملت هذه الأخبار على أصناف العبادات القولية والفعلية، وأكْرِمْ بالمرأة إن كانت صاحبة همة في العبادة، وصدق زيد بن أسلم في قوله: (مثل المرأة التي تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ولا توطئ فراشها أحداً؛ مثل المجاهد في سبيل الله)[١].

فإلى أخبار العابدات.

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

دخل عليها ذات مرة ابن أخيها القاسم فوجدها تصلي، وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ ترددها، وتدعو، وتبكي، فقام ينتظرها، حتى ملَّ القيام، فذهب إلى السوق، ثمَّ رجع، فإذا هي قائمة كما هي تصلى وتبكي[٢]!

أم الدرداء الصغرى:

❖ قال يونس بن ميسرة: كُنَّ النساء يتعبدن مع أم الدرداء يقُمْنَ الليل كله، حتى إن أقدامهنَّ قد انتفخت من طول القيام!

❖ وقال ميمون بن مهران: ما دخلت على أم الدرداء في ساعة صلاة

---

(١) أحكام النساء: ١١٦.

(٢) نساء لهن مواقف: ٦٤.

إلا وجدتها مصلية[١].

حفصة بنت سيرين:

قال مهدي بن ميمون: مكثت حفصة في مصلاها ثلاثين سنة، لا تخرج إلا لحاجة أو لقائلة[٢]!

معاذة العدوية:

عن آسية بنت عمرو العدوية، قالت: كانت معاذة تصلى في كل يوم ستمائة ركعة، وتقرأ جزءها من الليل تقوم منه، وكانت تقول: عجبت لعين تنام، وقد عرفت طول الرقاد في ظلمات القبور[٣]!

أم طلق:

عابدة من عابدات البصرة، كانت تصلي في كل يوم أربعمائة ركعة، وتقرأ من القرآن ما شاء الله.

وكانت تقول: ما ملَّكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً!

وقالت: النفس ملك إن تبعتها، ومملوك إن أَتْبَعْتَهَا[٤].

عفيرة العابدة:

قال روح بن سلمة الوراق لعفيرة العابدة: بلغني أنك لا تنامين بالليل،

---

(١) المرجع السابق: ١٣٢.

(٢) المرجع السابق: ١٤٠.

(٣) كتاب التهجد: ٢٢٩.

(٤) شهيرات النساء: ٢٧.

فبكت، ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام، فلا أقدر عليه، وكيف ينام، أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟!

قال: فأبكتني والله، وقلت في نفسي: أُراني في شيء وأراك في شيء[1]!

حبيبة العدوية:

كانت حبيبة العدوية من العابدات المجتهدات، وكانت إذا صلت العتمة؛ قامت على سطح لها، وشدت عليها درعها وخمارها، وقالت: إلهي، نامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وأرسلت عليها حجابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك، ثم تقبل على صلاتها، فإذا طلع الفجر؛ قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا الفجر قد أسفر، فيا ليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأُهنَّأ؟! أم رددتها عليَّ فأُعزَّى؟! فوعزتك لهذا دأبي، ولو انتهرتني من بابك لما برحته لما وقع في نفسي من كرمك[2].

عجردة العمية:

عن عبد الرحمن بن عمرو الباهلي، قال: حدثتني دلال بنت أبي المدل، قالت: حدثتني أمي آمنة بنت يعلى بن سهيل، قالت: كانت عجردة العمية تغشانا، فتظل عندنا اليوم واليومين، قالت: فكانت إذا جاء الليل؛ لبست ثيابها، وتقنعت، ثم قامت إلى المحراب، فلا تزال تصلي إلى

---

(١) صفة الصفوة: ٤/٣٣.

(٢) الصلاة والتهجد: ٣٤٩.

السَّحر، ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر[١]!

علية بنت الكميت:

قال أبو خالد القرشي: استأذنا على علية بنت الكميت، وكانت من العابدات، قال: وذلك وقت الظهر، فقالوا: هي تصلي، فلم نزل ننتظرها إلى العصر، فلما صلت العصر؛ أذنت لنا، فدخلنا عليها فقلنا: رحمك الله، لم نزل قعوداً منذ الظهر ننتظرك!

قالت: سبحان الله! قعوداً لم تصلوا بين الظهر والعصر؟!

قال: وانقبضت عنا انقباضًا شديداً[٢]!

غُضنة وعالية:

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني أبو الوليد قال: ربما رأيت غضنة وعالية تقوم إحداهما من الليل، فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف في ركعة[٣].

مولاة إبراهيم النخعي:

كانت مولاة لإبراهيم النخعي تعمد إلى اليوم الشديد الحر فتصومه، فقيل لها: إنك تعمدين أشد الأيام حرًّا فتصومينه؟!

فقالت: إن السعر إذا رخُص اشتراه كل أحد[٤]!

---

(١) نساء زاهدات: ٢٢.

(٢) صفة الصفوة: ٤/٣٩١.

(٣) كتاب التهجد: ٢١٠.

(٤) صفة الصفوة: ٤/٤٦.

جارية الحسن بن صالح:

كان للحسن بن صالح جارية، فباعها من قوم، فلما كان في جوف الليل؛ قامت الجارية، فقالت: يا أهل الدار، الصلاة الصلاة، فقالوا: أصبحنا؟ أطلع الفجر؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟! قالوا: نعم. فرجعت إلى الحسن، فقالت: يا مولاي، بعتني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة، رُدَّني، فردها[1].

أمة الجليل بنت عمرو العدوية:

عابدة من عابدات البصرة وزاهداتها، كانت تأكل الخبز وحده، وتقول: ما أنشرح إلا بدخول الليل كله، وتقول: إذا جاء السَّحر دخل قلبي الرَّوْح[2].

امرأة الهيثم بن جماز:

عن الهيثم بن الجماز، قال: كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعست ترش عليَّ الماء في أثقل ما أكون من النوم، وتنبهني برجلها، وتقول: ما تستحي من الله، كم هذا الغطيط! فوالله إن كنت لأستحي مما تصنع[3].

امرأة من العابدات:

كانت امرأة من العابدات لا تنام من الليل إلاَّ يسيراً، فعوتبت في ذلك،

---

(١) البصائر في تذكير العشائر: ٢٣٤.

(٢) شهيرات النساء: ٤١.

(٣) كتاب التهجد: ٢٥٤.

فقالت: كفى بالموت، وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقاداً!

وكانت تصوم في شدة الحر، حتى يتغير وجهها، فيقال لها في ذلك، فتقول: إنما أدور على طول الرِّي والشبع في الآخرة[١].

خديجة بنت هارون:

قرأت القرآن بالروايات السبع، وحفظت الشاطبية، وحجت خمس عشرة حجة، ثلاث عشرة حجة منها ماشية على الأقدام، وحجتان راكبة[٢].

رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة:

قال الذهبي: قال الضياء: كانت خيرة، حافظة لكتاب الله، ما تكاد تنام الليل إلا قليلاً، صائمة الدهر رضي الله عنها[٣].

أمة الله بنت أحمد بن عبد الله ابن الآبنوسي:

قال الذهبي: قال ابن الحاجب: هي من بيت فقه، وزهد، كثيرة العبادة، لا يكاد لسانها يفتر عن ذكر الله[٤].

مؤمنة بنت بهلول:

قالت مؤمنة بنت بهلول: الغافل ينام.ولا يقوم، ولا تطيب ساعة لا يكون فيها ذكر الله عز وجل[٥].

---

(١) نساء زاهدات: ٢١.

(٢) أعلام النساء: ١/٣٤٥.

(٣) تاريخ الإسلام: ٤٨٠.

(٤) المرجع السابق: ٢٤٧.

(٥) الحدائق الغناء: ٣٣.

عصمة الدين زوجة السلطان نور الدين زنكي:

قال ابن قاضي شهبة: وقد كانت زوجته هذه يعنى عصمة الدين أيضًا من الصالحات الخيرات، تكثر القيام، فنامت ذات ليلة عن وردها، فأصبحت وهي غَضْبَى، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت له نومها الذي فوت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانات في القلعة وقت السَّحَر، ليوقظ النائم ذلك الوقت؛ لقيام الليل، و رتب للضارب جراية وجامكية[1].

فاطمة بنت عبد الرحمن بن أبي صالم الحرانية:

أقامت ستين سنة لا تنام إلا وهي في مصلاها بغير وطاء[2]!



---

(١) القلائد الجوهرية: ١/١٠٩.

(٢) حسن المحاضرة: ١/٥١٢.

المرأة وعلو الهمة في الخوف من الله تعالى

الخوف تلك الجمرة في قلب العارفين وأبهى حُلل السالكين.. وكيف لا يخاف قلب وقف على عظمة معبوده، وشدة بطشه!

فإلى أخبار نسوة كُنَّ في لفيف موكب الخائفين، وجموع المشفقين.

بردة:

قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد إن هاهنا امرأة يقال لها بردة، قد فسدت عيناها من البكاء، فدخل عليها، فقال لها: يا بردة، إن لبدنك عليك حقّاً، وإن لبصرك عليكِ حقّاً.

قالت: يا أبا سعيد، إن أكُنْ من أهل الجنة؛ فسيبدلني الله بصراً خيراً من بصري، وإن أكُنْ من أهل النار؛ فأبعد الله بصري[1]!

عبدة بنت أحمد بن عطية العنسية أخت أبي سليمان الداراني:

عن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: وصفت لأختي عبدة قنطرة من قناطر جهنم فأقامت يوماً وليلة في صيحة واحدة ما سكتت، ثم انقطع عنها بعد، فكلما ذكرت لها صاحت صيحة واحدة، ثم سكتت، قلت: من أي شيء كان صياحها؟ قالت: مَثَّلَتْ نفسها على القنطرة وهي تُكْفَأُ بها[2]!

---

(١) صفة الصفوة: ٤/٣٦.

(٢) تاريخ دمشق ــ تراجم النساء: ٤٢٣.

أم هارون الخراسانية:

قال أبو سليمان لأم هارون: أتحبين الموت؟

قالت: لا. قال: ولم تكرهين لقاء الله تعالى؟! ففاضت دموعها بالانتحاب، فقالت: يا أبا سليمان لو عصيت آدمياً ما أحببت لقاءه، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته؟! فصرخ أبو سليمان، ووقع مغشياً عليه[١].

عفيرة العابدة:

قدم لعفيرة العابدة ابن أخ لها من غيبة طويلة، فبشرت به، فبكت، فقيل لها: ما هذا البكاء؟! اليوم يوم فرح وسرور! فازدادت بكاء، ثم قالت: والله ما أحد للسرور في قلبي سكناً مع ذكر الآخرة، ولقد أذكرني قدومه يوم القدوم على الله، فمن بين مسرور ومثبور[٢]!

امرأة بمكة:

قال مالك بن دينار: رأيت بمكة امرأة من أحسن الناس عينين، وكن النساء يجئن فينظرن إليها، فأخذت في البكاء، فقيل لها: تذهب عيناك! فقالت: إن كنت من أهل الجنة؛ فسيبدلني الله عينين أحسن من هاتين، وإن كنت من أهل النار فسيصيبها أشد من هذا!

فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها[٣]!

---

(١) أعلام النساء: ٥/٢٠٠.

(٢) أحكام النساء: ٤٥٧.

(٣) المرجع السابق: ٤٥٠.

الجارية الخائفة:

عن بكر بن عبد الله المزني، قال: إن قصاباً ولع بجارية لبعض جيرانه، فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى، فتبعها، فراودها عن نفسها، فقالت: لا تفعل، لأنا أشد حبّاً لك منك لي، ولكني أخاف الله. قال: فأنت تخافينه، وأنا لا أخافه! فرجع تائباً، فأصابه العطش، حتى كاد ينقطع عنقه، فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل، فسأله، قال: مالك؟! قال: العطش، قال: تعال حتى ندعو الله، حتى تظلنا سحابة، حتى ندخل القرية، قال: ما لي من عمل، قال: فأنا أدعو وأمِّنْ أنت. قال: فدعا الرسول، وأمَّنَ هو، فأظلتهم سحابة حتى انتهوا إلى القرية، فأخذ القصاب إلى مكانه، ومالت السحابة، فمالت عليه، فرجع الرسول، فقال: زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذي دعوتُ، وأنت الذي أمَّنْتَ، فأظلتنا سحابة، ثم تبعتك، لَتُخْبِرَنِّي ما أمرك؟! فأخبره، فقال الرسول: التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه[1].

امرأة السورجي:

عن السورجي، قال: كانت لي امرأة صالحة، فكنت إذا اشتريت لحماً لتطبخه لنا؛ طبخته، وغرفته جميعه، وجاءتني به، وكنت أكولاً، فكنت آكله جميعه، وتجوع هي وأولادها، فقلت لها: يا هذه، إذا طبخت شيئاً؛ فاقسميه قسمين، وجيئيني بأحدهما، ودعي الآخر لنفسك وأولادك، فقالت: لا والله، لا أفعل هذا، بل أقدمه إليك كله، لتأكل أجوده، فإنك أنت تسأل عنه[2]!

---

(١) كتاب التوابين: ٧٥ ـــ ٧٦.

(٢) نشوار المحاضرة: ٣/٦٢.

المرأة وعلو الهمة في الزهد

لم يزل الصالحون زاهدون في دار الغرور، متزودون ليوم النشور، ترى الناس لاهثين خلف دار الفناء، وترى الزاهدين زاهدين عن دار الفناء، شعارهم رفض السرور الفاني، وسرورهم طلب السرور الباقي.. فإلى أخبار الزاهدات.. الطالبات رفيع الهمم العاليات..

أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها:

عن برزة بنت رافع، قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها، فلما أدخل عليها، قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني! قالوا: هذا كله لك.

قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب، وقالت: صبوه واطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة، فاذهبي بها إلى بني فلان، وبني فلان، من أهل رحمها وأيتامها، حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق! فقالت: فلكم ما تحت الثوب، فوجدنا تحته خمسةً وثمانين درهماً، ثم رفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا! فماتت رضي الله عنها[١].

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

أهدي لعائشة رضي الله عنها ذات مرة سلال من عنب، فقسمته، ورفعت الجارية سلة، ولم تعلم بها عائشة، فلما كان الليل جاءت به

---

(١) الطبقات الكبرى: ١٠٩/٨.

الجارية، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما هذا؟!

قالت: يا سيدتي - أو يا أم المؤمنين - رُفعت لنا لنأكله.

قالت عائشة: فلا عنقوداً واحداً، والله لا أكلت منه شيئاً[١].

أم حسان:

ذكر سفيان الثوري لعبد الله بن المبارك أن امرأة بالكوفة يقال لها أم حسان؛ كانت ذات اجتهاد وعبادة، قال: فدخلنا بيتها، فلم نر فيه شيئاً غير قطعة حصير خلق، فقال لها الثوري: لو كتبت رقعة إلى بعض بني أعمامك لغيروا من سوء حالك. فقالت: يا سفيان قد كنت في عيني أعظم، وفي قلبي أكبر منذ ساعتك هذه! إني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها، ويحكم فيها، فكيف أسأل من لا يقدر عليها، ولا يقضي، ولا يحكم فيها؟! يا سفيان! والله ما أحب أن يأتي عليَّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله! فأبكت سفيان[٢].

حسنة العابدة:

كانت جميلة، فقالت لها امرأة: تزوجي، فقالت: هات رجلاً زاهداً لا يكلفني من أمر الدنيا شيئاً، وما أظنك تقدرين عليه، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا، ولا أنعم من رجال الدنيا، فإن وجدت رجلاً يبكي، ويبكيني، ويصوم ويأمرني، ويتصدق نعمت، وإلا فعلى الرجال السلام[٣]!

---

(١) نساء لهن مواقف: ٦٥.

(٢) نساء زاهدات: ١٥.

(٣) أعلام النساء: ١/٢٦٣.

امرأة بدر المغازلي:

عن أبي محمد الحريري، قال: كنت عند بدر المغازلي، وكانت امرأته باعت داراً لها بثلاثين ديناراً، فقال لها بدر: نفرق هذه الدنانير في إخواننا، ونأكل رزق يوم بيوم، فأجابته إلى ذلك، وقالت: تزهد أنت، ونرغب نحن، هذا ما لا يكون[١]!

امرأة منصور النشار:

جاء عن منصور النشار أنه أخذ ذات يوم يتكلم في الزهد، ويذكر أهله، إلى أن قال: إن زوجتي أزهد مني! فقيل: وكيف يا سيدي؟! قال لهم: كنت مريضاً، وهي مريضة إلى جنبي، فالتفت إليها فوجدتها على الأرض فقلت لها: لو كان لك جلد تحتك وقاية لك.

فقالت: ما هذا يا منصور؟! وأعددت لقبرك جلداً؟! إن تلقّى القضاء بالتدريج ألطف من الفجاة[٢].

حبيبة بنت الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة:

قال الذهبي: وكانت صالحة، عابدة، قوامة، تالية لكتاب الله، تلقن نساء الدير، وكانت تنكر على أخيها الشيخ شمس الدين دخوله في القضاء، وفي التوسع من الدنيا، وكثرة الأواني والقماش رضي الله عنها[٣].

---

(١) أحكام النساء: ٤٥٩.

(٢) الحلل السندسية: ٢/٤٧٤.

(٣) تاريخ الإسلام: ١٤٩.

فخرية بنت عثمان:

قال عنها صلاح الدين الصفدي: وأقامت بالقدس منقطعة أربعين سنة، تقف على باب الحرم تصلي إلى أن يُفتح الباب، فتكون أول داخل إليه، وآخر خارج منه، وتقتات بشيء يسير مما يحضر إليها من مُلكها، وهو قريب من مائتي درهم، وتؤثر الفقراء والمساكين بالباقي، وطار ذكرها في الآفاق، ودخل إليها الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى مرات، ومعه الذهب، ويخرج به وما تقبل منه شيئاً[1].

جويرية بنت القاضي زين الدين أبي الطاهر بن جمال الدين محمد بن محب الدين أحمد الطبرية أم الخير المكية:

قال صاحب العقد الثمين: وكانت صالحة خيرة، على طريق السلف الصالح، من التقلل من الدنيا، والإيثار بما تجد، وملازمة قيام الليل، والصوم، حتى إنها توفيت صائمة بالمدينة النبوية، وكانت قد انقطعت بها مدة سنين مع ابنها القاضي محب الدين النويري وبعده، وآثرت الإقامة بها على مفارقة الأهل والوطن[2].

أعرابية:

قالت أعرابية لزوجها ورأته مهموماً: إن كان همك بالدنيا؛ فقد فَرَّغ الله منها، وإن كان للآخرة؛ فزادك الله همّاً بها[3].

---

(١) أعيان العصر: ٤/٣٥.

(٢) العقد الثمين: ٨/١٩٤.

(٣) نثر الدرر: ٤/٥٨.

المرأة وعلو الهمة في التوبة

التوبة إلى الله تعالى والإنابة إليه شعار الصادقين، وديدن العابدين، فكم للخلق من تقصير، وما أحوجهم إلى رحمة العلي الكبير.. وهاهما قصتان عن المرأة المسلمة وصدقها في ميدان التوبة..

أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان:

دخلت عَزَّة صاحبة كثيِّر على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر، فقالت لها: يا عزة ما معنى قول كثير:

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ علمتُ غريمَهُ   وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غريمُهَا

ما هذا الدين الذي يذكره؟ قالت: اعفيني، قالت: لابد من إعلامك إياي. فقالت عزة: كنت وعدته قبلة، فأتاني لينتجزها، فتحرجت عليه، ولم أف له. فقالت لها أم البنين: أنجزيها منه، وعليَّ إثمها!

ثم راجعت نفسها، فاستغفرت الله، وأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة، وكانت إذا ذكرت ذلك بكت حتى تبل خمارها، وتقول: يا ليتني خرس لساني عندما تكلمت بها[1]!

امرأة في الطواف:

قال وهيب بن الورد: بينما امرأة في الطواف ذات يوم، وهي تقول: يا رب، ذهبت اللذات، وبقيت التبعات، يا رب! سبحانك، وعزتك إنك

(١) كتاب التوابين: ١٤٩.

أرحم الراحمين، يا رب! مالك عقوبة إلا النار! فقالت صاحبة لها كانت معها: أخية، دخلت بيت ربك اليوم؟ فقالت: والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربي، وقد علمت حيث مشتا، وأين مشتا[1]!.



(١) المرجع السابق: ٢٥٢.

المرأة وعلو الهمة في الصبر

الصبر أرفع بضاعة فاز بها الصابرون، وأغلى كنز حواه الصادقون، قليل أولئك الذين عدوا من أهله، وإذا كان من امرأة فأكْرِمْ به من مقام! فالمرأة الصابرة معدن عزيز، وأغلى من الذهب الإبريز!

فإلى أولئك المتفردات، الحائزات فرائد الهمم العاليات..

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

قال العتبي: قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب في مرض أبيها عمر: يا أبتاه، ما يحزنك وفادتك على رب رحيم، ولا تبعة لأحد عندك، ومعي لك بشارة لا أذيع السر مرتين، ونعم الشفيع لك العدل، لم تخف على الله عز وجل خشنة عيشتك، وعفاف نهمتك، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين في الأرض، ثم أنشأت تقول:

اكظم الغلة المخالطة القلب وأعزى وفي القرآن عزائي
لم تكن بغتة وفاتك وحداً إن ميعاد من ترى للفناء[1]

صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

لما كانت غزوة أحد، وأصيب يومها المسلمون، ومُثِّل بقتلاهم، وكان في القتلى حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم النبي ﷺ، فجاءت أخته صفية بنت عبد المطلب لكي تراه، فلما رآها النبي ﷺ نادى بالزبير بن العوام ابنها: «يا

(١) بلاغات النساء: ٣٧.

زبير المرأة»!

فلما جاءها ابنها الزبير ليردها؛ لكمته في صدره، وهي تقول: تَنَحَّ لا أم لك! فقال لها: يا أمَّه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي.

فقالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مُثِّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، فلأصبرنَّ وأحتسبنَّ إن شاء الله.

فجاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: «**خل سبيلها**» فأتت إلى أخيها حمزة ﷺ فنظرت إليه، واسترجعت واستغفرت له[1].

امرأة عمرو بن الجموح رضي الله عنهما:

قالت عائشة رضي الله عنها: خرجنا من السَّحر مخرج رسول الله ﷺ نستطلع الخبر حتى إذا طلع الخبر، إذا رجل محتجز ينشد، ويقول:

لبِّث قليلاً يلحق يدرك الهيجا حملْ

قالت: فنظرنا فإذا أسيد بن حضير، ثم مكثنا بعد ذلك، فإذا بعير قد أقبل عليه امرأة بين وسقين، قالت: فدنونا منها، فإذا هي امرأة عمرو بن الجموح، فقلنا لها: ما الخبر؟ قالت: دفع الله عن رسول الله ﷺ، واتخذ من المؤمنين شهداء، ورَدَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال. ثم قالت لبعيرها: حل، ثم نزلت، فقلنا: ما هذا؟ قالت: أخي وزوجي[2]!

---

(١) نساء لهن مواقف: ٨٥.

(٢) كتاب الرقة: ١١١.

أم سليم رضي الله عنها:

مرض ابن لأم سليم من أبي طلحة، فخرج أبو طلحة إلى المسجد، فتوفي الغلام، فهيأت أم سليم أمره، ثم قالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه، ولما رجع أبو طلحة من المسجد؛ هيأت له أم سليم عشاءه، فقال: ما فعل الغلام؟ قالت: خير ما كان. ثم قرَّبت له عشاءه، فتعشى، وتطيبت له وتزينت، فأصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته. فلما كان آخر الليل، قالت له: يا أبا طلحة ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طُلبت إليهم شقَّ عليهم! قال: ما أنصفوا! فقالت: إن ابنك كان عارية من الله فقبضه إليه.

فاسترجع، وقال: والله لا تغلبيني الليلة على الصبر!

ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: **"اللهم بارك لهما في ليلتهما"** فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه ﷺ فرزق الزوجين مولوداً، أخرج من ذريته سبعة كلهم يحمل القرآن[١]!

أم الدرداء الصغرى:

لما ماتت ابنتها الدرداء، وحملها الرجال على الأكتاف، وسووا عليها التراب، قالت أم الدرداء: اذهبي إلى ربك، وأذهب إلى ربي، ثم دخلت المسجد[٢]!

---

(١) نساء لهن مواقف: ١٠٦.

(٢) المرجع السابق: ١٣٣.

معاذة العدوية:

قالت لمن جاء يعزيها في زوجها وابنها: مرحباً بكُنَّ، إن كنتُنَّ جئتُنَّ لتهنئتي فمرحباً بكُنَّ، وإن كنتُنَّ جئتنَّ لغير ذلك فارجعْنَ[1]!

أم جميل بن سعد الداري:

لما كانت وقعة رأس بقيادة عياض بن غنم؛ خرج جميل بن سعد الداري، وكان حاذقاً بالرمي، وودع أمه، وكانت عجوزاً، فقال: يا أمَّاه، أريد أن أجاهد هذا اليوم في الله حق جهاده، فلعلي أن ألحق بإخواني وجدي الذين قتلوا بين يدي رسول الله ﷺ، فودعها وسار.

فلما قتل في الموقعة وعلمت بذلك؛ صبرتْ صبر الكرام، وقالت: يا بني عشت سعيداً، ومت شهيداً، وسلكت سبيل آبائك، فرحمك الله، وآنس غربتك، ونفعني بك يوم القيامة، ثم قرأت: ﴿الَّذِيْنَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2].

زبيدة بنت جعفر:

ولما دخل المأمون بغداد دخلت عليه زبيدة بنت جعفر، فلما جلست؛ قالت: الحمد لله لئن كنت قد فقدت ابناً خليفة؛ فقلد اعتضت ابناً خليفة، وما خسر من اعتاض مثلك، وما ثكلت أم ملأت يدها منك، فأسأل الله أجراً على ما أخذ، وإمتاعاً بما وهب، فقال المأمون: ما تلد النساء مثل

---

(١) المرجع السابق: ١٥٢.

(٢) فتوح الشام: ٢/١٧٨ ــ ١٨٠.

هذه! فماذا أبقت في هذا الكلام لبلغاء الرجال[١]؟!

منفوسة بنت زيد الفوارس:

أصيبت منفوسة بنت زيد الفوارس بابنها، فقالت وهو في حجرها: والله لتقدمك أمامي أحب إليَّ من تأخرك ورائي، ولصبري عنك أجدى من جزعي عليك، وما حظ مصيبة تحل من التلف محلك، وتورث من العطب مثل مضجعك؟! ولئن كان فراقك حسرة، إن توقع أجرك لخَيرة[٢]!

امرأة صابرة:

روى أن امرأة من العرب مرت بابنين لها، وقد قتلوا، فقالت: الحمد لله رب العالمين، ثم قالت:

كلُّ بلوى تصيب المرءَ عافية ... ما لم يُصَبْ يوم يلقَى اللهَ بالنارِ[٣]

❖❖❖

---

(١) خلاصة الذهب المسبوك: ٢١٩.

(٢) نساء زاهدات: ٢٨.

(٣) برد الأكباد: ٤٧.

المرأة وعلو الهمة في الورع

الورع، أهله كالشامة بين العالمين، أندر من بيض الأنوق، بضاعة لا يملكها إلا أرباب الهمم العاليات، وقمة لا يبلغها إلا أصحاب المروءات، فلله در أولئك النسوة اللائي تزين بسرباله، وجَرَيْنَ في مضماره..

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

لما دُفن النبي ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها ثم دُفن أبو بكر الصديق ﷺ بجواره؛ كانت عائشة تضع ثيابها، ولكن بعد أن دُفن بجوارهما عمر بن الخطاب ﷺ كانت عائشة تلبس ثيابها لأنه أجنبي عنها[١]!

أخت بشر بن الحارث الحافي:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دق الباب يوماً، فخرجت فإذا امرأة تستأذن على أبي، فأذن لها، فقالت: أنا أغزل بالليل في السراج، فربما طفئ السراج، فأغزل في ضوء القمر، فهل عليَّ أن أبيِّن غزل القمر من غزل السراج؟! فقال: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، فقالت: يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى؟! قال: أرجو أن لا تكون شكوى، ولكنه اشتكاء إلى الله عز وجل.

فخرجت فقال: يا بني اتبع هذه المرأة، وانظر أين تدخل؟ فتتبعتها، فإذا قد دخلت بيت بشر، وإذا هي أخته، قال: فرجعت، فقلت له، فقال: محال أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر[٢]!

---

(١) نساء لهن مواقف: ٦٣.

(٢) أحكام النساء: ٤٥٢.

ميمونة بنت الأقرع:

قال المروزي: ذكر لأبي عبد الله ميمونة بنت الأقرع، فقلت له: إنها أرادت أن تبيع غزلها، فقالت للغزال: إذا بعت هذا الغزل، فقل: إني ربما كنت صائمة فأرخى يدي فيه، ثم ذهبت ورجعت، فقالت: رُدَّ عليَّ الغَزْل، أخاف أن لا يبين الغَزَّالُ هذا!

فترحم أبو عبد الله عليها وقال: قد جاءتني وكتبت لها أشياء في غَسْل الميت[١].

امرأة محمد بن عبد الرحيم السعدي المقدسي:

قال صاحب كتاب المنهج الأحمد: وحُكي عنه أنَّه كان يحفر مكاناً في جبل الصالحية لبعض شأنه، فوجد جرة مملوءة دنانير، وكانت زوجته معه تعينه في الحفر، فاسترجع، وطم المكان كما كان أولاً، وقال لزوجته: هذه فتنة، ولعل لها مستحقين لا نعرفهم، وعاهدها على أنها لا تُشْعر بذلك أحداً، ولا تتعرض إليه، وكانت صالحة مثله، فتركا ذلك تورعاً مع فقرهما وحاجتهما، وهذا غاية الورع والزهد، رحمهما الله تعالى[٢].

ابنة أبي الحسن المكي:

عن عبيد الله بن أحمد بن بكر، قال: كان لأبي الحسن المكي ابنة مقيمة بمكة، وكانت أشد ورعاً من أبيها، وكانت تقتات في كل سنة بثلاثين درهماً، يبعثها إليها أبوها من شق الخوص! قال: وأخبرني ابن أبي الرواس وكان جاراً

---

(١) المقصد الأرشد: ٥١/٣.

(٢) المنهج الأحمد: ٣٣٤/٤.

لأبي الحسن المكي، قال: عزمت على الحج، فأتيته أستعرض حوائجه، فدفع إليَّ قرطاساً فيه دراهم، وقال: ترسله إلى ابنتي بمكة في الموضع الفلاني، قال: فأخذته، فلما وصلت إلى مكة سألت عنها، فوجدتها في الزهد والعبادة أشهر من أبيها، ففتحتُ القرطاس وجلعتُ الثلاثين خمسيناً، وأتيت إليها، فسلمت عليها، وقلت: أبوك يسلم عليك، وقد بعث لك هذه الدراهم، فلما حصل القرطاس في يدها؛ قالت: إيش خبر أبي؟ قلت: على خير وسلامة، قالت: هل خالط أبناء الدنيا، وترك الانقطاع إلى العبادة؟ قلت: لا. قالت: فأسألك بمن حججت إلى بيته، هل خلطت هذه الدراهم بشيء من مالك؟! قلت: ومن أين علمت؟ فقالت: ما كان أبي يزيدني على الثلاثين شيئاً؛ لأن حاله لا يحتمل أكثر من ذلك، إلاَّ أن يكون قد خالط أهل الدنيا! ثم رمت بالقرطاس، وقالت: خذه فقد عققتني، وأجعتني طول السنة، وأحوجتني إلى أن أقتات من المزابل إلى الموسم الآخر، لأن هذه كانت قوتي طول السنة، ولولا أنك ما قصدت أذاي لدعوت عليك، قال: فقلت لها: خذي ثلاثين وردي الباقي! قالت: ما أعرفها بعينها، وقد اختلطت، ولا آخذ مالاً لا أدري من أين هو!! قال: فاغتممت، وعدت إلى أبيها، فأخبرته واعتذرت، فقال: لا آخذها، وقد اختلطت بغير مالي، فقد عققتني وإياها! فقلت: فما أصنع بها؟! قال: تصدَّق بها[1]!



---

(١) العقد الثمين: ٨/٣٦٠ ـ ٣٦٢.

المرأة وعلو الهمة
في الأمر بالمعروف والدعوة إلى الله تعالى

شرف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس حكراً على الرجل، بل إنَّ للمرأة مشاركة في ذلك، وكم من نساء كُنَّ رائدات في ذلك، كما ستلحظ في أخبارهنَّ، فإلى أخبار أولئك النسوة اللائي أسهمن في هذا المجال الرَّفيع.

أم شريك ـ رضي الله عنها ـ

عن ابن عباس، قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام، فأسلمت وهي بمكة، وكانت تحت أبي العسكر الدوسي، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها، وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك، وفعلنا، لكنا سنردك إليهم. قالت: فحملوني على بعير ليس تحتى شيء، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني، ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس، واستظلوا هم منها، وحبسوني عن الطعام والشراب، فبيناهم قد نزلوا منزلاً، وأوثقوني في الشمس؛ إذا أنا ببرد شيء على صدري، فتناولته فإذا هو دلو من ماء، فشربت منه قليلاً، ثم نزع مني فرفع، ثم عاد فتناولته، فشربت منه، ثم رفع، ثم عاد فتناولته، ثم رفع مراراً، ثم تُركت فشربت حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لي: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟! قلت: لا والله، ولكنه كان من الأمر كذا وكذا. قالوا: لئن

كنت صادقة، لدِينك خير من ديننا، فلمَّا نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها، فأسلموا عند ذلك[١].

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

رُوي عن عائشة أن رجلاً كان في دار لها، وكان يلعب بالنَّرد، فقالت له: إن أخرجت النرد من منزلك، وإلاَّ أخرجتك من داري[٢].

خولة بنت حكيم رضي الله عنها:

عن قتادة، قال: خرج عمر ﷺ من المسجد، ومعه الجارود العبدي، فإذا امرأة برزة على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر ﷺ، فردت عليه السلام، ـ أو سلمت عليه، فرد عليها السلام ـ فقالت: هيها يا عمر! عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ، تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر ﷺ فقال الجارود: هيه، فقد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته! فقال عمر ﷺ: أما تعرف هذه؟! هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت، التي سمع الله عزَّ وجلَّ قولها من فوق سماواته، فعمر أحرى أن يسمع لها[٣]!

---

(١) صفة الصفوة: ٢/٥٣ــ٥٤.
(٢) أنساب الأشراف: ١/٤١٨.
(٣) تاريخ المدينة: ٢/٧٧٣.

أم الدرداء الصغرى:

عن عثمان بن حيان، قال: أكلنا مع أم الدرداء طعاماً، فأغفلنا الحمد لله، فقالت: يا بَنِيَّ لا تدعوا أن تأدِمُوا طعامكم بذكر الله عز وجل، أكلٌ وحمد خير من أكل وصمت[١].

رقية بنت أحمد بن محمد بن قدامة، أخت الشيخ الموفق، أم الحافظ الضياء:

قال الذهبي: قال الضياء: كانت امرأة صالحة، تنكر المنكر، يخافها الرجال والنساء، وتفصل بين الناس في القضايا، وكانت تاريخاً للمقادسة في المواليد والوفيات[٢].

فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح:

قال ابن كثير: وكانت من العالمات، الفاضلات، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم على الأحمدية في مواخاتهم النساء والمردان، وتنكر أحوالهم، وأصول أهل البدع وغيرهم، وتفعل من ذلك ما لا تقدرعليه الرجال، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فاستفادت من ذلك وغيره، وقد سمعتُ الشيخ تقي الدين يثني عليها، ويصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيراً من المغني، أو أكثره، وإنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها، وحسن سؤالاتها، وسرعة فهمها، وهي التي ختَّمت نساءً كثيراً القرآن[٣].

---

(١) نساء لهن مواقف: ١٣٥.

(٢) تاريخ الإسلام: ٥٩.

(٣) البداية والنهاية: ١٤/٤٨٤.

فاطمة بنت عباس:

قال عنها السيوطي: سيدة نساء زمانها، كانت وافرة العلم، حريصة على النفع والتذكير، ذات إخلاص وحشمة، وأمر بالمعروف، انصلح بها نساء دمشق، ثم نساء مصر، وكان لها قبول زائد، ووقع في النفوس[١].

ولادة العبدية:

قال مهدي بن أبان: قلت لولادة العبدية وكانت من أعقل النساء: إني أريد الحج فأوصيني.

قالت: أوجز فأُبْلغ، أم أطيلُ فأُحْكم؟

فقلت: ما شئت.

قالت: جُدْ تَسُدْ، واصبر تَفُزْ.

قلت: أيضاً.

قالت: لا يتعدَّ غضبُكَ حِلْمَكَ، ولا هواك علمَكَ، وقِ دينَكَ بدنياكَ، وفِرْ عِرْضَكَ بِعَرَضِكَ، وتفضَّلْ تُخْدَم، واحْلُمْ تُقَدَّم.

قلت: فمن أستعين؟

قالت: الله.

قلت: من الناس؟

قالت: الجَلْدُ النشيط، والناصح الأمين.

قلت: فمن استشير؟

---

(١) حسن المحاضرة: ١/٣٩٠.

قالت: المجرب الكيِّس.

قلت: فمن استصحب؟

قالت: الصديق المسلم، أو المداجي المتكرم.

ثم قالت: يا أبناه، إنك تفد إلى ملك الملوك، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه[١].

فاطمة ابنة الفضيلي الزبيرية:

قال عنها صاحب السحب الوابلة: وأرشدت خلقاً من الناس سيما النساء، فقد لازمنها ملازمة كلية، وانتفعن بها انتفاعاً ظاهراً، وصلحت أحوال كثير منهن، وصار من يتردد إليها منهن؛ يُعرف من بين النساء بالدين، والتقوى، والورع، والمواظبة على فرائض الدين، والقناعة، والصبر، وحسن السلوك[٢]..



(١) نثر الدرر: ٤/٨٥.

(٢) السحب الوابلة: ٣/١٢٢٩.

المرأة وعلو الهمة عند الشدائد

عند الشدائد تظهر المعادن، ويتميز الجلد من الواهي الضعيف، فالشدائد كير يميز الجيد من الرديئ، وعند الشدائد قد يضعف بعض الرجال، وأما النساء وإن كن ضعيفات، فلا يعني هذا ضعفهن في كل حال، فكم من امرأة ثبتت في موضع شدة لم يثبت فيه رجال، وستجد ذلك في أخبارنا التي ستراها في هذا الفصل..

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

❖ لما نزل الوحي على النبي ﷺ أخذه الفزع فجاء إلى زوجته خديجة رضي الله عنها ترجف بوادره وهو يقول: «**أي خديجة مالي**»؟! ثم قصَّ عليها قصة نزول الوحي، وقال ﷺ: «**لقد خشيت على نفسي**»! فقالت له خديجة رضي الله عنها: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسِبُ المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق[١].

❖ وهي القائلة رضي الله عنها: أبشر يا ابن عمي واثبت، فوالذي نفسي بيده، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة[٢].

أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها:

هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، وذات

---

(١) نساء لهن مواقف: ٢٩.

(٢) المرجع السابق: ٣١.

مرة رأت رؤيا في المنام أفزعتها، رأت زوجها عبيد الله بن جحش بأسوأ صورة وأشوهه، فلما كان الصباح؛ جاءها زوجها، وقال: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين، فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم قد رجعت إلى النصرانية!

فأجابته أم حبيبة رضي الله عنها: والله ما خِيرَ لك! وأخبرته بالرؤيا التي رأتها، فلم يلتفت إلى كلامها، وعكف على الخمر حتى مات!

وثبتت أم حبيبة رضي الله عنها على دينها، حتَّى جبر الله مصابها بزواج خير الخلق منها ﷺ[1].

زنيرة رضي الله عنها:

كانت زنيرة قد عُذبت حتى عميت، فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين! فقالت وهي لا تبصره: وما تدري اللات والعزى من يعبدهما ممن لا يعبدهما؟! ولكن هذا أمر من السماء، وربي قادر على أن يرد بصري.

فأصبحت من تلك الليلة وقد رد الله عليها بصرها[2].

أم حيكم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة المخرومية رضي الله عنها:

لما مات عنها زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه في غزو الروم؛ تزوجها خالد بن سعيد بن العاص، فلما كانت وقعة مَرْج الصُّفَّر؛ أراد خالد أن

---

(١) المرجع السابق: ٧٤.

(٢) أنساب الأشراف: ١/١٩٦.

يدخل بها، فقالت: لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع، فقال: إن نفسي تحدثني أني أُقتل. قالت: فدونك. فأعرس بها عند القنطرة، فعرفت بها بعد ذلك، فقيل لها قنطرة أم حكيم، ثمَّ أصبح فأولم عليها، فما فرغوا من الطَّعام حتَّى وافتهم الروم، ووقع القتال، فاستشهد خالد، وشدَّت أم حكيم عليها ثيابها، وتَبَدَّتْ وإن عليها أثر الخَلُوق، فاقتتلوا على النهر، فقاتلت أم حكيم يومئذ، فقتلت بعمود الفسطاط الذي أعرس بها خالد فيه سبعة من الروم[1].

امرأة أبان بن سعيد بن العاص:

قتل عنها في موقعة أجنادين، وكانت بنت عمه، وكان قد تزوجها بأجنادين، وكانت قريبة العهد من العرس، ولم يكن الخضاب ذهب من يدها، ولا العطر من رأسها، فلما سمعت بموت بعلها؛ أتته تتعثر في أذيالها، إلى أن وقعت عليه، فلما نظرته صبرت واحتسبت، ولم يسمع منها غير قولها: هنئت بما أُعطيت، ومضيت إلى جوار ربك الذي جمع بيننا ثم فرق، ولأجهدن حتى ألحق بك، فإني لمتشوقة إليك، حرام على أن يمسنى بعدك أحد، وإني قد حبست نفسي في سبيل الله، عسى أن ألحق بك، وأرجو أن يكون ذلك عاجلاً[2]!

---

(١) الإصابة: ٨/١٩٤.

(٢) فتوح الشام: ١/٩٧.

نساء المسلمين يوم اليرموك:

قال العباس بن سهل الساعدي: كانت خولة بنت الأزور، وخولة بنت ثعلبة الأنصاري، وكعوب ابنة مالك بن عاصم، وسلمى ابنة هاشم، ونعم ابنة فياض، وهند ابنة عتبة بن ربيعة، ولبنى ابنة جرير الحميرية، متحزمات، وهنَّ أمام النِّساء والمزاهر معهنَّ، وخولة تقول هذه الأبيات:

يا هارباً عن نسوةٍ ثقاتْ ... لها جمالٌ ولها ثباتْ

تُسْلِمُوهُنَّ إلى الهناتْ ... تَمْلِكُ نواصينا مع البناتْ

أعلاجُ سوقٍ فُسْقٍ عتاةْ ... يَنَلْنَ منا أعظمَ الشتاتْ[1]

قال منهال الدَّوسي: فلقد كانت النِّساء أشد علينا غلظة من الرُّوم، فرجع المسلمون عن الهزيمة، ونادى بعضهم بعضاً ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، وعطفوا على الروم عطفة عظيمة[2].

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:

❖ لما رأى ابن الزبير تفرق أصحابه من حوله؛ دخل على أمه أسماء، وقال لها: يا أماه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدُّنيا فما رأيك؟

فأجابته: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق،

---

(١) المرجع السابق: ١/٢٦٤.

(٢) المرجع السابق: ١/٢٦٧.

وإليه تدعو ؛ فامض له ، فقد قُتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يتلعَّب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ، وأهلكت من قُتل معك ، وإن قلت : كنت على حق ، فلما وهن أصحابي ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ، ولا أهل الدين ، وكم خلودك في الدنيا؟! القتل أحسن!

ولمَّا سمع ابن الزُّبير جواب أمه ؛ دنا منها ، وقبَّل رأسها ، وقال : هذا والله رأيي ، والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ، ما ركنت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن يستحل حرمه ، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي. ثم قال : فانظري يا أماه ، إني مقتول من يومي هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسلمي الأمر لله ، ثم ودع ابن الزبير أمه ، وقال لها : إني لأرى أن هذا آخر يوم من الدنيا يمر بي ، واعلمي يا أماه إني إن قُتلت فإنما أنا لحم ، لا يضرني ما صُنع بي ، فقالت : صدقت يا بنيَّ أتمم عليك بصيرتك ، وادن مني أودعك ، فدنا منها فقبلها وعانقها ، فقالت : اللهم ارحم طول ذاك النحيب ، والظمأ في هواجر المدينة ، وبره بأمه ، اللهم إني قد سلَّمت فيه لأمرك ، ورضيت فيه بقضائك ، فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين ، فقال لها : يا أماه لا تدعي الدعاء لي قبل قتلي ولا بعده. فقالت : لن أدعه ، لله فمن قُتل على باطل فقد قُتلت على حق[1].

---

(١) نساء لهن مواقف: ١٢٠ ـــ ١٢٢.

❖ ودخل عليها ابن عمر بعد مقتل ابن الزبير، فقال لها: إن هذه الجثث ليست بشيء، وإنَّما الأرواح عند الله، فاتَّقي الله وعليك بالصَّبر، فقالت: وما يمنعني؟! وقد أُهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل[١]!

خولة بنت الأزور:

لما أسر بعض النساء المسلمات في وقعة فتح دمشق وفيهن خولة بنت الأزور، فقالت للنساء: يا بنات حمير بقية تبع أترضين بأنفسكن علوج الروم، ويكون أولادكن عبيداً لأهل الشرك، فأين شجاعتكنَّ[٢] وبراعتكنَّ التي نتحدث بها عنكنَّ في أحياء العرب، ومحاضر الحضر؟! ولا أراكن إلا بمعزل عن ذلك، وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب، وما نزل بكم من خدمة الروم الكلاب.

فقالت عفرة بنت غفار الحميرية: صدقت، ووالله يا بنت الأزور نحن في الشجاعة كما ذكرت، وفي البراعة كما وصفت، لنا المشاهد العظام، والمواقف الجسام، والله اعتدنا ركوب الخيل، وهجوم الليل، غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت، وإنما دهمنا العدو على حين غفلة،

---

(١) المرجع السابق: ١٢٤.

(٢) ما جاء في هذا الخبر وغيره من قتال النساء في بعض المعارك، لا يُفهم منه وجوب الجهاد على المرأة، فالمرأة لا يجب الجهاد في حقها، وقد جاء في الصحيح: "**جهادكنَّ الحج**"، وفي سنن النسائي: "**جهاد الكبير والمرأة الحج والعمرة**". ولكن للمرأة أن تدفع عن نفسها، ولا تقصد القتال ابتداء، وهذا ولله الحمد واضح في كل الأخبار التي سقناها في هذا المعنى.

وما نحن إلا كالغنم، فقالت خولة: يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب، ونحمل بها على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم، أو نستريح من معرة العرب. فقالت: عفرة بنت غفار: والله ما دعوتِ إلا ما هو أحب إلينا مما ذكرت، ثم تناولت كل واحدة عموداً من أعمدة الخيام، وصحن صيحة واحدة، وألقت خولة على عاتقها عمود الخيمة، وسعت من ورائها عفرة وأم أبان بنت عتبة، وسلمة بنت زراع، ولبنى بنت حازم، ومزروعة بنت عملوق، وسلمة بنت النعمان، ومثل هؤلاء رضي الله عنهن، فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكم عن بعض، وكن كالحلقة الدائرة، ولا تتفرقن فَتُمْلَكْنَ، فيقع بكن التشتيت، وحطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم، فمازلن يضربن في القوم، وخولة بنت الأزور ترتجز وتقول:

نحن بناتُ تُبَّعٍ وحِمْيَرْ وضربُنا في القومِ ليس يُنْكَرْ
لأننا في الحربِ نارٌ تُسْعَرْ اليوم تُسْقَوْنَ العذابَ الأكبرْ

ولما رأى بطرس قائد الروم خولة رغبها في الزواج منه، فردت عليه بقولها: يا ملعون، ويا ابن ألف ملعون، والله لئن ظفرت بك لأقطعنَّ رأسك، والله ما أرضى بك أن ترعى لي الإبل، فكيف أرضاك أن تكون كفؤاً؟!

وما زال هؤلاء النسوة في شدة؛ حتى كشف الله عنهنَّ بالبواسل من جيش المسلمين، فاستنقذوهن بعد أن قتلوا في الروم مقتلة عظيمة[1].

---

(١) فتوح الشام: ١/٧٢ ــ ٧٥، باختصار وتصرف.

حبّة ابنة الفضل امرأة عبد الله بن فضالة:

كان عبد الله بن فضالة ممن أهدر الحجاج بن يوسف دمه، وأمر الحجاج المهلب بن أبي صفرة باعتقاله حياً، فبعث إليه المهلب ابنه حبيباً، فأسره، ثم كتب إلى الحجاج يعلمه بذلك، فجاء المغيرة بن المهلب إلى زوجة عبد الله بن فضالة حبة ابنة الفضل، فأرسل إليها: إن حبيباً قد أخذ عبد الله، وقد كتب إلى الحجاج يعلمه ذلك، فإن كان عندك خير فشأنك، وعولي على المال ما بدا لك، فأرسلت إليه: لا، ولا كرامة، تقتلونه وآخذ منكم المال؟! هذا ما لا يكون! فتحولت إلى منزل أخيها لأمها حَوْلي بن مالك الراسبي، وأرسلت إلى بني سعد فاشتُري لها باب عظيم، فألقته على الخندق ليلاً، ثم جازت عليه، فغشي عليها، فلما أفاقت قالت: إني لم أكن أتعب فمتى أصابني هذا فشدوني وثاقاً ثم سيروا بي، فخرجت مع خادمها وغلامها ودليلها، لا يعلم بها أحد، فسارت حتى دخلت دمشق على عبد الملك بن مروان، فأتت أم أيوب بنت عمرو بن عثمان، وكانت أمها زينب بنت ذؤيب بن حلحلة الخزاعي، قالت: يا أم أيوب قصدتك لأمر بَهَظَنِي، وغم كَظَّنِي، وأعلمتها الخبر، وقصت عليها القصة، فقالت أم أيوب: قد كنت أسمع أمير المؤمنين يكثر ذكر صاحبك، ويظهر التلظى عليه. قالت: وأين رحلتي إليك؟ قالت: سأدخلك مدخلاً، وأجلسك مجلساً، إن شُفعت ففيه، وإن رددت فلا تنصبي، فلا شفاعة لك بعده، فأجلستها في مجلسها الذي كانت تجلس فيه لدخول عبد الملك ليلاً، وجلست أم أيوب قريباً

منها، وقالت: لها: إذا دخل فشأنك. فدخل عبد الملك ليلاً معبراً، فلما دنا أخذت بجانب ثوبه ثم قالت: هذا مكان العائذ بك يا أمير المؤمنين، ففزع عبد الملك، وأنكر الكلام، فقالت أم أيوب: ما يفزعك يا أمير المؤمنين من كرامة ساقها الله إليك؟! فقال: عذت معاذاً فمن أنت؟!

قالت: تؤمِّن يا أمير المؤمنين من جئتك فيه، من كان من خلق الله، ممن يُعرف أولا يُعرف، ممن عظم ذنبه لديك أو صغر، شامياً أو عراقياً، أو غير ذلك من الآفاق؟ قال: نعم، هو آمن، قالت: بأمان الله ثم بأمانك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فمن هو أيتها المرأة؟! قالت: عبد الله بن فضالة. قال: أرسلي ثوبي أنبئك عنه. قالت: أغدراً يا بني مروان؟! قال: لا، أرسلي ثوبي أحدثك ببلائي عنده، وهو آمن لك ولمعاذك. قالت: فحدثني يا أمير المؤمنين ببلائك عنده. قال: ألم تعلمي أني وليته السوس وجند يسابور، وأقطعته كذا، وفرضت له كذا، ونوهت بذكره، ورفعت من قدره؟ قالت: بلى والله يا أمير المؤمنين، أفلا أحدثك ببلائه عندك؟ قال: بلى. قالت: أتعلم أن داره هُدمت ثلاث مرار بسببك، لا يستتر من السماء بشيء؟ قال: نعم. قالت: أفتعلم يا أمير المؤمنين أنك كتبت إلى وجوه أهل البصرة وأشرافها وكتبت إليه، فلم يكن منهم أحد أجابك، ولا أطاعك غيره؟ قال: نعم، قالت: أفتعلم أنه كان قبل زلته سيفاً لك على أعدائك، وسلماً وبساطاً لأوليائك؟ قال: نعم، حسبك قد أجبت وأبلغت. قالت: أفيذهب يوم من أيامه بصالح أيامه وطاعته، وحسن بلائه؟! قال: لا، هو آمن. قالت: يا أمير المؤمنين إنها

الدماء، وإنه الحجاج، وإن رآه قتله، قال: كلا. قالت: فالكتاب يا أمير المؤمنين مع البريد. فكتب لها كتاباً مؤكداً: إياك وإياه، أحسن جائزته ورفده، خل سبيله. ثم وجه به مع البريد، ثم أقبل عليها، فقال: ما أنت منه؟ قالت: امرأته وابنة عمه. قال: فضحك، وقال: أين نشأت؟ قالت: في حجر أبيه. قال: فوالله لأنت أعرب وأفصح لساناً، فهل معه غيرك؟ قالت: نعم، ابنة عبيد بن كلاب. (قال النميري: قالت: نعم، وكذا وكذا جارية) قال: فأنا أوليك طلاقها وعتق جواريه. قالت: بل تهنيه نساءه كما هنَّأته دمه! فأقبل على أم أيوب، فقال: يا أم أيوب، لا نساء إلا بنات العم. ثم قال: أقيمي عند أم أيوب حتى يأتيك الكتاب بمجيئك إن شاء الله. وقدم الكتاب، وقُدِم به على الحجاج من خراسان، فأقامه للناس في سراويل (وقد كان نزع ثيابه قبل ذلك، وعرضه على الناس في الحديد ليعرفوه) فلما أمسى دعا به الحجاج، فقال له: يا عبد الله أتأذن في الكلام؟ قال: لا كلام سائر اليوم. قال: فكساه، وحمله، وأجازه، وخلى سبيله، فانصرف إلى أهله فسألهم عن حبة، فأخبر بأمرها، وقيل: ما ندري أين توجهت. ثم بلغه ما صنعت، فكتب إليها: إنك قد صنعت بنا ما لم تصنعه أنثى، فأعلميني بمقدمك أتلقاك ويتلقاك الناس معي. فلم تعلمه حتى قدمت ليلاً وهو عند ابنة عبيد بن كلاب، فقالت: لا والله لا يؤذن بي الليلة. فلمَّا أصبح أُخبر بمكانها فأتاها[1].

---

(١) الحدائق الغناء: ١٧٩ ــ ١٨١.

امرأة من بيوتات العرب:

سبا الروم نساء مسلمات، فبلغ الخبر الرقة، وبها الرشيد، ومنصور بن عمار هناك، فقص منصور يحض على الغزو، فإذا خرقة مصرورة، مختومة، قد طرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة، فقرأه، فإذا فيه: إني امرأة من بيوتات العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات، وبلغني تحضيضك على الغزو، فعمدت إلى أكرم شيء في بدني عليَّ، وهما ذؤابتاي، فجززتهما، وصررتهما في هذه الصرة المختومة، فأنشدك بالله العظيم لما جعلتهما قَيْدَ فرسِ غازٍ في سبيل الله، فعلَّ الله ينظر إليَّ نظرة على تلك الحال فيرحمني!! فبلغ ذلك الرشيد، فبكى، ونادى: النفير(١).



(١) الجليس الكافي: ٤/٢٥.

المرأة وعلو الهمة في الوفاء

الوفاء ذاك العنوان الضافي الذي يزين العلاقة الزَّوجية، ويكسبها بريقها الخلاب، والوفاء بين الزوجين يكون في أيَّام الحياة، وبعد موت أحد الزَّوجين، بل إن صدقه يظهر حينئذ، ووفاء المرأة لزوجها؛ دليل على كرم عنصرها، ونقاء ثوبها.

نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

❖ رُوي عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية، زوجة عثمان، وكانت قد قطعت أصابع يديها يوم الدار وهي تدافع عن زوجها عثمان بن عفان ﷺ رُوي أن معاوية ﷺ خطبها، فقالت: ما يعجب الرجل مني، وأصابعي مقطعة؟! فقيل لها: ثناياك، فكسرت ثناياها، وبعثت بها إلى معاوية، تريد أنها لا تبغي بعثمان بعده بديلاً[1].

❖ لما قُتل عثمان ﷺ وقفت يوماً على قبره نائلة بنت الفرافصة الكلبي - زوجته - فترحمت عليه، ثم انصرفت إلى منزلها، ثم قالت: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي! فدعت بفهر - الحجر - فهتمت فاها، وقالت: والله لا يقعد رجل مني مقعد عثمان أبداً.

وخطبها معاوية، فبعثت إليه أسنانها، وقالت: أذات عروس ترى؟! وقالوا: لم يكن في النساء أحسن منها مضحكاً[2].

---

(١) مرآة النساء: ٢١٩.

(٢) رياض النساء: ١٤٧.

فاطمة بنت عبد الملك:

أوَّل ما بدأ به عمر بن عبد العزيز لَّما استقرَّت البيعة له أنَّه ردَّ ما كان لفاطمة بنت عبد الملك زوجته من المال والحلي والجواهر إلى بيت المال، وقال: لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيت واحد! فردته جميعاً، ولما ولى أخوها يزيد من بعده رده عليها، فأبت، وقالت: ما كنت لأطيعه حياً، وأعصيه ميتاً! ففرقة يزيد على أهله[1].



---

(١) سمط النجوم العوالي: ٣/١٩٤.

المرأة وعلو الهمة في الإيثار

الإيثار خصلة عز في الزمان وجودها، أهلها أقل من القليل، وأثنى الله على أهلها في محكم التنزيل[١]، ولله در أهلها، جردوا الأنفس عن مرغوبها، وآثروا غيرها بمطلوبها.

امرأة عجوز:

قال تميم بن عدي اليربوعي: كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق، حتى نزلنا بعد أيام منزلاً، فطلبنا طعاماً لم نجده، ولا قدرنا عليه، فقال عبد الله لوكيله: اخرج إلى هذه البرية، فلعلك تجد بها راعياً معه طعام، فمضى الوكيل ومعه غلمان، فأطالوا التوقف، فلما كادوا يرجعون، لاح لهم خباء، فأموه، فوجدوا فيه عجوزاً، فقالوا لها: هل عندك طعام نبتاعه منك؟

فقالت: أما طعام بيع فلا، ولكن عندي أكلة لي، وأولادي إليها أمس حاجة.

قالوا: وأين أولادك؟

قالت: في رعيهم، وهذا وقت عودتهم.

قالوا: فما أعددت لهم؟

قالت: خبزة تحت ملتها، أنتظر بها أن يجيئوا.

قالوا لها: فجودي لنا بنصفها.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

قالت: لا، ولكن بها كلها!

قالوا: ولم منعت النصف، وجدت بها كلها، ولا خبز عندك غيرها؟!

قالت: إن إعطاء الشطر من خبزة نقيصة، فأنا أمنع ما ينقصني، وأجود بما يرفعني!

فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم إليها وانصرفوا، ولم تسأل من هم، ولا من أين جاؤوا!

فلما أتوا عبد الله، وأخبروه خبر العجوز؛ عجب من ذلك، وقال: ارجعوا إليها، فاحملوها في دعة، وأحضروها.

فرجعوا إليها، وقالوا لها: إن صاحبنا أحب أن يراك.

قالت: ومن صاحبكم؟!

قالوا: عبد الله بن العباس.

قالت: ما أعرف هذا الاسم.

قالوا: العباس بن عبد المطلب، وهو عم النبي ﷺ.

قالت: والله هذا الشرف العالي، وذروته الرفيعة، وماذا يريد مني؟

قالوا: يريد أن يكافئك على ما كان منك.

قالت: لقد أفسد الهاشمي ما أَثَّلَ له ابن عمه عليه السلام، والله لو كان ما فعلت معروفاً، ما أخذت عليه ثواباً، وإنما هو شيء يجب على كل إنسان أن يفعله.

قالوا: فإنه يحب أن يراك ويسمع كلامك.

قالت: أصير إليه، لأني أحب أن أرى رجلاً من جناح النبي ﷺ وعضواً من أعضائه.

فلما سارت رحب بها، وأدنى مجلسها، وقال: ممن أنت؟

قالت: من كلب.

قال: كيف حالك؟

قالت: لم يبق من الدنيا ما يفرح إلا وقد بلغته، وإني الآن أعيش بالقناعة، وأصون القرابة، وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحاً ومساءً.

قال: أخبريني ما الذي أعددت لأولادك عند انصرافهم، بعد أخذنا الخبزة؟

قالت: أعددت لهم قول العربي:

ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظلُّهُ   حتى أنالَ به كريمَ المأكَلِ

فأعجبه قولها، وقال لبعض غلمانه: انطلق إلى خبائها، فإذا أقبل بنوها فجئ بهم.

فقالت للغلام: انطلق فكن بفناء البيت، فإنهم ثلاثة، فإذا رأيتهم؛ تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض، عليه شعار الوقار، فإذا تكلم أفصح، وإذا طلب أنجح، والآخر حديد النظر، كثير الحذر، إذا وعد فعل، وإذا ظُلم قتل، والآخر كأنه شعلة نار، وكأنه يطلب بثأر، فذاك الموت المائت، والداء الكابت، فإذا رأيت هذه الصفة فيهم؛ فقل لهم عني: لا تجلسوا حتى تأتوني.

فانطلق الغلام، فأخبرهم الخبر، فما بَعُد أمده حتى جاؤوا، فأدناهم عبد الله، وقال: إني لم أبعث إليكم وإلى والدتكم إلاَّ لأصلح من أمركم، وأصنع ما يجب لكم.

فقالوا: إن هذا لا يكون إلا عن مسألة، أو مكافأة فعل جميل تقدم،

ولم يصدر منا واحدة منهما، فإن كنت أردت التكرم مبتدئاً؛ فمعروفك مشكور، وبرك مقبول مبرور.

فأمر لهم بسبعة آلاف درهم، وعشر من النوق، فقالت العجوز: ليقل كل واحد منكم بيتاً من قوله، فقال الأكبر:

شهــدْتُ عليــك بحسنِ المــقالِ وصــدقِ الفِــعَالِ وطــيبِ الخَبَــرْ

وقال الأوسط:

تبرعــتَ بالبــذلِ قــبلَ الــسؤالِ فعــالَ كريــمٍ عظــيمِ الخَــطَرْ

وقال الأصغر:

وحُــقَّ لمــن كــان ذا فعــلُهُ أن يَــسْتَرِقَّ رقــابَ البَــشَرْ

وقالت العجوز:

فَعَمَّــرَكَ اللهُ مــن ماجــدٍ وَوُقيتَ ما عشتَ شرَّ القَدَرْ[1]

امرأة من المدينة:

عن عبد الله بن أخت مسلم بن سعدان أنه قال: أردت الحج فدفع إليَّ خالي عشرة آلاف درهم، وقال لي: إذا قدمت المدينة، فانظر إلى أفقر أهل بيت في المدينة، فأعطهم إياها، فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت في المدينة، فدُللت على أهل بيت، فطرقت الباب، فأجابتني امرأة: من أنت؟ فقلت: رجل من أهل بغداد، أودعت عشرة آلاف، وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت في المدينة، وقد وُصفتم لي فخذوها. فقالت: يا عبد الله إن

---

(١) رياض النساء: ١٩١ ـــ ١٩٤.

صاحبك اشترط أفقر أهل بيت، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا! فتركتهم، وأتيت أولئك، فطرقت الباب، فأجابتني امرأة، فقلت لها مثل الذي قلت لتلك المرأة، فقالت: يا عبد الله نحن وجيراننا في الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم[١]!

امرأة من مكة:

كتب عبدة بن أبي لبابة إلى شريك يُقال له الحسن بن الخزار: ادفع ثلاثمائة درهم إلى أحوج أهل بيت بمكة، فسأل، فدُلَّ على أهل بيت، فوقف بهم، فخرجت إليه امرأة كبيرة حسنة السمت، فقال لها: بُعث إليَّ بثلاثمائة درهم، وأُمرت أن أدفعها إلى أحوج أهل بيت بمكة. فقالت المرأة: إن كنت أُمرت بهذا فما نحن هم، ومالنا فيها من حق، وأنا أعرف أهل بيت أحوج منا، فسألها، فدلته عليهم، فأعطاهم الدراهم، وكتب إلى عبدة يخبره بحال المرأة، فكتب عبدة: أن أضْعِفْها، اعطها ستمائة درهم[٢].



---

(١) أحكام النساء: ٤٥٠.

(٢) صفة الصفوة: ٢/٢٨٠.

المرأة وعلو الهمة في الاعتزاز بالنفس

قد يخلط البعض بين الاعتزاز بالنفس وبين الكِبْر، ولكن الفرق بينهما واضح، فالمعتز بنفسه؛ واثق بنفسه، غير هاضم لحق غيره، وأما المتكبر؛ فرافع لنفسه فوق الآخرين، وإن كان دونهم، ومستحقر سواه..

ولكن لا عيب أن يسمو المرء بنفسه إن كان أهلاً لذلك، ولا محتقراً للآخرين..

أم عمرو بنت جنيدب بن عمرو الدوسي:

عن الوليد بن زياد، قال: لما قدم جُنَيْدِب بن عمرو بن حممة الدوسي المدينة مهاجراً معه ابنته أم عمرو خرج إلى الشام، وخلفها عند عمر ﷺ، وأوصى بها حتى يزوجها كُفْئاً، وإن كان بفتال. قال: فاستشهد بالشام، فأتى عمر ﷺ يعتلي المنبر، ضرب بإحدى يديه على الأخرى، وقال وكبر: يا من له في أحسن الناس وأحبهم إليَّ ابنتي أم عمرو بنت جنيدب، ولينظر رجل من هو - وحوله المهاجرون - فقال عثمان بن عفان ﷺ: أنا يا أمير المؤمنين. قال: فابذل، فإنها متيسرة. قال: كذا وكذا. قال: قد زوجناكها، فعجل. فوثب، فجاء بصداقها، فدفعه إلى عمر ﷺ، فدخل عمر ﷺ بيته، فقال: أين بُنيتي؟ قيل: هي ذِهِ. فجاءت، فقال: يا بنية ابسطي حَبْوَتَكِ. فبسطت مقدم ثوبها، فنثر فيه الدراهم، وقال: قولي اللهم بارك لي. قالت: وما هذه الدراهم يا أبتاه؟! قال: هذه صداقك من عثمان بن عفان. فنثرتها، وقالت: واسوأتاه! فقال لحفصة: يا أختاه صفروا يديها، واصبغوا لها ثوبين، وتصدقي يا بنية من صداقك على بعض قومك. ثم قال لحفصة:

اخرجي بها الليلة حتى تدفعيها إلى عثمان. فخرجت بها، فقال عمر ﷺ: والله إنها لأمانة في عنقي، وما ندري ما يحدث عليها، فخرج حتى لحقها، ثم مضى حتى دقَّ على عثمان ﷺ، فقال: هذه زوجتك. فبنى عليها عثمان ﷺ، فقعد عندها فأطال، فدخل عليه سعيد بن العاص، فقال: يا أبا عبد الله لقد أقمت عند هذه الدوسية إقامة ما كنت تقيمها عند النساء! قال: إنه والله ما من خلة أشتهي أن تكون في امرأة إلا وقد وجدتها فيها، إلا خلة وجدتها صغيرة، أخاف أن لا يكون لها ولد. قال: فابتسمت ابتسامة سمعها عثمان ﷺ، فلما قام سعيد؛ رفع عثمان ﷺ عنها الحجاب، فقال: ما أضحكك يا بنت عمر؟! فقالت: لا شيء. قال: لتخبريني. قالت: سمعت مقالتك لابن عمك، والله إني لمن نسوة ما دخلت منهن امرأة على رجل شريف قط فحملت؛ حتى تلد سيداً منهم بين ظهرانيه، قال: فلم تر حمراء حتى رأيتها على رأس عمرو بن عثمان. فولدت لعثمان: عمرواً، ومحمداً، وأبان، وأم عمرو[1].



(١) تاريخ المدينة: ٣/٩٨٢ ــ ٩٨٤.

المرأة وعلو الهمة في الحجاب والعفاف والصيانة

المرأة المسلمة ؛ تلك الدرة المكنونة ، والملكة المتوجة تحت سقف بيتها ، والدر أغلى ما يكون إذا كان في أصدافه ، وقد حاط الإسلام المرأة بأجمل سياج ، وصانها عن الأيدي العابثة ، وعن وثبات أصحاب القلوب المريضة ، وفي أخبار هذا الفصل تطل علينا المرأة المسلمة بوسامها الرفيع الذي زانها به الإسلام ، واختصها به ؛ لِتَنْبُلَ وترتفع عن سفساف الأمور.

قال عمر بن الخطاب ﷺ : (علموا أولادكم العوم ، والرماية ، ونِعْمَ لهو المرأة المغزل)[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها : (المغزل في يد المرأة مثل الرمح في يد الغازي)[2].

وقال السمرقندي : (كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من البلاء : إمام عادل لا يظلمهم شيئاً ، وعالم على سبيل الهدى ، ومشايخ يأمرون وينهون عن المنكر ، ويحرضون على تعليم القرآن والعلم ، ونساء مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية)[3].

فالمرأة عزها وخيرها في لزومها بيتها ، وقيامها بواجباتها ، ورسالتها الخالدة..

---

(١) كتاب العيال: ٥٧٩/٢.

(٢) المرجع السابق: ٥٨٣/٢.

(٣) الروضة الفيحاء: ٨٠.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (النساء عورة، فاحبسوهن في البيوت، فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق، قال لها أهلها: أين تذهبين؟ قالت: أعود مريضاً، وأشيع جنازة، فلا يزال بها الشيطان؛ حتى تخرج ذراعيها، وما التمست امرأة وجه الله بمثل أن تقر في بيتها، وتعبد الله عز وجل)[١].

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

عن إسحاق الأعمى، قال: دخلت على عائشة فاحتجبت مني، فقلت: تحتجبين مني ولست أراك؟! قالت: إن لم تكن تراني فإني أراك[٢]!

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:

قدم إبنها المنذر بن الزبير من العراق، فأرسل إليها بكسوة من ثياب مرويَّة قُوهيَّة، وأسماء يومها قد كفَّ بصرها، فلما جيء لها بالكسوة لمستها بيدها، ثم قالت: أُفٍّ ردوا عليه كُسْوته!

فشق ذلك على المنذر، وقال لها: يا أُمَّهْ إنه لا يشف!

فقالت له: إنها إن لم تشف فإنها تصف!

فاشترى لها ثياباً غيرها فقبلتها، وقالت: مثل هذا فاكْسُنِي[٣].

امرأة من المهاجرات:

قال الزهري: أتت عليَّ امرأة من المهاجرات، قد جعلت درعها في كمها؛ خوفاً تخرج منها أصابعها، فحدثتني أن رسول الله ﷺ قال: "رُبَّ

---

(١) أحكام النساء: ٣٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/٦٩.

(٣) نساء لهن مواقف: ١٧٧.

كاسيةٍ في الدنيا، عارية في الآخرة"[١].

حفصة بنت سيرين:

عن عاصم الأحول، قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين، وقد جعلت الجلباب هكذا، وتنقبت به، فنقول لها: رحمك الله! قال الله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَّضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْر مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾[٢] وهو الجلباب. قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾[٣] فتقول: هو إثبات الجلباب[٤]!

امرأة من القدماء:

قال ابن الجوزي: وبلغني عن امرأة من القدماء أنه كان إذا طرق عليها الباب، وليس عندها أحد، وضعت يدها على فمها، وتكلمت ليخرج كلاماً منزعجاً لا يفتن[٥]!

امرأة بعض القرشيين:

كان عند بعض القرشيين امرأة عربية، ودخل عليها خَصِيٌّ لزوجها، وهي واضعة خمارها، فحلقت رأسها، وقالت: ما كان ليصحبني شعر

---

(١) كتاب العيال: ٢/٥٩٢.

(٢) سورة النور: الآية: ٦٠.

(٣) سورة النور: الآية: ٦٠.

(٤) نساء لهن مواقف: ١٣٩.

(٥) أحكام النساء: ٣٢.

نظر إليه غير ذي محرم[١]!

فاطمة بنت نصر بن العطار:

قال عنها أخوها: إنها ما خرجت من البيت في عمرها إلا ثلاث مرات[٢]!

فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي امرأة الكاساني:

قال ابن العديم: أخبرني الفقيه أحمد بن يوسف بن محمد الأنصاري الحنفي، قال: كان الكاساني عزم على العود من حلب إلى بلاده، فإن زوجته حثته على ذلك، فلما علم الملك العادل نور الدين محمود؛ استدعاه، وسأله أن يقيم بحلب، فعرَّفه سبب السفر، وأنه لا يقدر أن يخالف زوجته ابنة شيخه، فاجتمع رأي الملك وزوجها الكاساني على إرسال خادم، بحيث لا تحتجب منه، ويخاطبها عن الملك في ذلك، فلما وصل الخادم إلى بابها استأذن عليها، فلم تأذن له، واحتجبت منه، وأرسلت إلى زوجها تقول له: بَعُدَ عهدك بالفقه إلى هذا الحد، أما تعلم أنه لا يحل أن ينظر إليَّ هذا الخادم، وأي فرق بينه وبين غيره من الرجال في جواز النظر؟! فعاد الخادم، وذكر ذلك لزوجها بحضرة الملك، فأرسلوا إليها امرأة برسالة نور الدين، فخاطبتها، فأجابته إلى ذلك[٣].

---

(١) عيون الأخبار: ٤/٨٧.

(٢) تاريخ الإسلام: ١٢٦.

(٣) الجواهر المضية: ٤/١٢٣ـ١٢٤.

صفية بنت محمد بن عبد المحسن المخزومي:

ذكر ولدها تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي: أنها كانت صالحة، تحفظ القرآن، وتقوم الليل، ولا تخرج من بيتها إلا للحج، والتحلل منه[1].

امرأة خرجت من بيتها في محنة:

عن أحمد بن يوسف بن البهلول التنوخي: أن امرأة من أهلهم بالأنبار، كانت قد جاوزت الأربعين سنة، وخرجت من بيتها إلى بغداد في محنة عرضت لها، فلما حصلت في الطريق رأت جملاً يدير دولاباً، فقالت: ما هذا؟! فقيل لها: دولاب الجمل! فحلفت بالله أنها ما رأت جملاً قط[2]!



---

(١) العقد الثمين: ٨/٢٦٠.

(٢) نشوار المحاضرة: ٨/٢٣٦.

المرأة وعلو الهمة في المبادرة وحب الخيرات

ما أحوج المرء إلى صالح يقدمه بين يديه ؛ ليكون له ذخراً في يوم لا ينفع فيه إلا العمل الصالح، والمرء في هذه الدنيا لا يدري متى تفجأه المنون، فكم من أناس استلبهم الموت قبل أن يتزودوا من الصالحات، فالعاقل من سابق الموت بفعل الصالحات، قبل أن يحال بينه وبينها، فسوق العمل اليوم قائمة، والرابحون من تزودوا منها، قبل أن يكون حساب ولا عمل، فإلى أخبار المبادرات إلى الخيرات..

أبو الدحداح وأم الدحداح رضي الله عنهما:

قال القرطبي: لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله ﷺ إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال ﷺ: «**نعم يريد أن يدخلكم الجنة به**» قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولِصِبْيَتي الدحداحة معي الجنة؟ قال: «**نعم**» قال: فناولني يدك، فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضاً لله تعالى، قال: رسول الله ﷺ: «**اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك**». قال: فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: «**إذاً يجزيك الله به الجنة**»، فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

هداكِ ربي سُبُلَ الرَّشادِ ... إلى سبيلِ الخيرِ والسَّدادِ

بِيني من الحائطِ بالوِدَادِ ... فقد مضَى قَرْضاً إلى التَّنادِ

أقْرَضْتُــهُ اللهَ علــى اعتــمادي بالطَّــوْعِ لا مَــنٌّ ولا ارْتــدادِ
إلاَّ رجــاءَ الــضِّعْفِ فــي المعــادِ فارْتحِــلي بالنَّفْــسِ والأولادِ
والــبرّ لاشــكٌّ فخيــرُ زادِ قَدَّمَــهُ المــرءُ إلــى المعــادِ

قالت أم الدحداح: ربح بيعك، بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح، وأنشأت تقول:

بَــشَّرَكَ اللهُ بخيــرٍ وفــرَحْ مِثْلُــكَ أدَّى مــا لــديه ونَــصَحْ
قــد مَتَّــعَ اللهُ عــيالي ومنَــحْ بــالعَجْوَةِ الــسَّوداءِ والزَّهْــوِ الــبَلَحْ
والعبــدُ يــسعَى ولــه مـا قـد كَـدَحْ طــولَ الليــالي وعليــه مــا اجْتَــرَحْ

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم، حتى أفضت إلى الحائط الآخر[1]!

أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها:

رُوي عنها أنها أتت النبي ﷺ، فقالت: إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فُضِّلوا بالجمعات، وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه، فقال: «هل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣/٢٢٦ ــ ٢٢٧.

سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه»؟! فقالوا: بلى والله يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «انصرفي يا أسماء، وأعلمي من ورائك من النساء أن حُسْنَ تَبَعُّل إحداكنَّ لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته؛ يعدل كل ما ذكرت للرجال». فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ[1].

أم الدرداء وامرأة اسمها أسماء:

عن أبي عبد رب، قال: أمرتني أم الدرداء أن أبيع لها جارية، فبعتها من امرأة يقال لها أسماء، فلم تلبث أن أصابها طاعون فهلكت، فقالت: لا تأخذ منها شيئًا، فلقيتها فأخبرتها، فقالت: الله! إن كانت أم الدرداء غنية تريد أن تكون أولى بالأجر مني، لا أفعل! فما زلت أمشي بينهما، حتى أصلحت بينهما على النصف من الثمن!

زنجلة العابدة:

عن أحمد بن سهل الأردني، قال: دخل على زنجلة العابدة نفرٌ من القراء، فكلَّموها في الرفق بنفسها، فقالت: ما لي وللرفق بها، إنما هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله يا إخوتاه لأصلينَّ لله عز وجل ما أقلتني جوارحي، ولأصومنَّ له أيام حياتي، ولأبكينَّ له ما حملت الماء عيني، ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه[2]؟!

---

(١) الاستيعاب: ٤/١٧٨٧.

(٢) محاسبة النفس: ١٠٣.

المرأة وعلو الهمة في التربية

التربية والقيام بشؤون البيت أعظم وظيفة تقوم بها المرأة، فالأم هي مدرسة الطفل الأولى، إذا نجح فيها، توالى نجاحه بعدها، ولقد كانت المرأة على مر الزمان نِعْمَ العون للرجل في تربية الأجيال، بل إنها أحرزت في ذلك نجاحاً باهراً، فكم من إمام ملأ ذكره الآفاق؛ كانت المرأة سر نجاحه، فيكفي أن تعلم أن من هؤلاء الأئمة: سفيان الثوري، وأبو عمرو الأوزاعي، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومالك، والشافعي، والبخاري. فإن المرأة إذا التفتت إلى رسالتها الحقيقية، وأقبلت على معالي الأمور؛ أحرزت أعلى درجات النجاح في تربية الأجيال.. ومن خلال أخبار هذا الفصل ستقف على نجاح المرأة في هذا الميدان العظيم.. فإلى أخبار المربيات الناجحات..

صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

كانت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها تضرب إبنها الزبير بن العوام وهو صغير، فكان نوفل عم الزبير يقول لها: ما هكذا يُضرب الولد، إنك لتضربيه ضرب مبغضة! فكانت ترد عليه، وهي ترجز:

مَنْ قال إني أُبْغِضُهُ فقد كَذَبْ ... وإنَّما أضرِبُهُ لكي يَلَبْ
ويهزمُ الجيشَ ويأتي بالسَّلَبْ ... ولا يكن لمالِهِ خِبْأً مُخِبْ
يأكُلُ في البيتِ من تمرٍ وحَبْ[1]

---

(١) نساء لهن مواقف: ٨٢.

أم سليم رضي الله عنها:

أنَّ أم سليم رضي الله عنها آمنت برسول الله ﷺ فجاء أبو أنس، وكان غائباً، فقال: أصبوتِ؟ قالت: ما صبوتُ، ولكني آمنت بهذا الرجل.

فجعلت تلقن أنساً، وتشير إليه، قل لا إله إلا الله، قل أشهد أن محمداً رسول الله، ففعل، فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليَّ ابني. فتقول: إني لا أفسده. فخرج مالك أبو أنس فلقيه عدو فقتله، فلما بلغها قتله؛ قالت: لا جرم لا أفطم أنساً حتى يدع الثدى حياً، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس. فيقول: قد قضت الذي عليها، فترك الثدي، فخطبها أبو طلحة وهو مشرك فأبت، فقالت له يوماً فيما تقول: أرأيت حجراً تعبده لا يضرك ولا ينفعك، أو خشبة تأتي بها النجار، فينجرها لك، هل يضرك، هل ينفعك؟! فوقع في قلبه الذي قالت، فأتاها، فقال: لقد وقع في قلبي الذي قلت. وآمن. قالت: فإني أتزوجك، ولا آخذ منك صداقاً غيره[1]!

فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما:

عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، قال: جمعتنا أمنا فاطمة بنت الحسين، فقالت: يا بَنِيَّ إنه والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم، ولا أدركوا ما أدركوه من لذاتهم إلا وقد أدركه أهل المروءات بمروءاتهم، فاستتروا بستر الله[2].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/٤٢٥ـ٤٢٦.

(٢) تاريخ دمشق ــ تراجم النساء: ٢٨٤.

أم سفيان الثوري:

قالت أم سفيان الثوري له: يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة، فإن لم تر ذلك فاعلم أنه لا ينفعك[١]!

معاذة العدوية:

قال أبو عبد الرحمن السلمي: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود، وقالت أم الأسود: قالت لي معاذة العدوية: لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام، فإني جهدت جهدي حين أرضعتك حتى أكلت الحلال، فاجتهدي أن لا تأكلي إلا حلالاً، لعلك أن توفقي لخدمة سيدك، والرضا بقضائه. فكانت أم الأسود تقول: ما أكلت شبهة إلا فاتتني فريضة، أو ورد من أورادي[٢]!

الخنساء بنت عمرو:

حضرت الخنساء القادسية، فقالت لبنيها من أول الليل: يا بَنِيَّ أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اصْبِرُوْا وَصَابِرُوْا وَرَابِطُوْا وَاتَّقُوْا اللهَ لَعَلَّكُمْ

---

(١) أحكام النساء: ٤٥٤.

(٢) صفة الصفوة: ٤/٣٢.

تُفْلِحُوْنَ﴾ فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين ؛ فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطرمت لظى على سياقها ، وحللت ناراً عل أرواقها ؛ فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، في الخلد والمقامة[1].

زينب بنت جدير:

قال الشعبي : قال لي شريح : عليكم بنساء بني تميم ، فإنهن النساء! قلت : كيف؟! قال : انصرفت من جنازة يوماً ، فمررت بدور بني تميم ، فإذا امرأة جالسة على وسادة ، وتجاهها جارية زؤد لها ذؤابة ، فأعجبتني ، فقلت : من هذه؟ قالت : ابنتي. قلت : فمن؟ قالت : هذه زينب بنت جدير إحدى نساء بني تميم. قلت : أفارغة أم مشغولة؟ قالت : فارغة. قلت : أفتزوجينها؟ قالت : نعم ، إن كنت كفؤاً ، ولها عم فاقصده ، فأرسلت إلى مسروق وأبي بردة وغيرهما ، فوافينا عمها ، فقال : ما حاجتك؟ قلت : بنت أخيك زينب بنت جدير ، فزوجني ، ثم زفت إليَّ ، فلما خلا البيت ، قلت لها : إن من السنة أن تصلي ركعتين ، واسأل الله تعالى خير ليلتنا ، فالتفت فإذا هي خلفي تصلى ، ثم التفت ، فإذا هي على فراشها ، فمددت يدي ، فقالت : على رِسْلِكَ ، إني امرأة غريبة ، ووالله ما سرت سيراً قط أشد عليَّ منه ، وأنت رجل غريب ، لا أعرف أخلاقك ، فحدثني بما تحب فآتيه ، وما تكره ؛ فأنزجر عنه ، فقلت : أحب

---

(١) أعلام النساء: ١/٣٦٩.

كذا، وأكره كذا. فقالت: أخبرني عن أختانك أتحب أن يزوروك؟ قلت: ما أحب أن يملّوني. فبت بأنعم ليلة، ثم أقمت عندها ثلاثاً، ثم رجعت إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يوماً إلا وهو أفضل من الذي قبله، حتى إذا كان رأس الحول، دخلت منزلي، فإذا عجوز تأمر وتنهى، فقلت: يا زينب من هذه؟ قالت: أمي. قلت: حياك الله بالسلام. قالت: كيف أنت وزوجتك؟ قلت: على خير. قالت: إن رابك ريب فالسوط! قلت: أشهد أنها ابنتك! فكانت كل حول تأتينا، فتقول هذا، ثم تنصرف، فما غضبت عليها إلا مرة، كنت لها فيها ظالماً، كنت إمام قومي فسمعت الإقامة، وقد رأيت عقرباً، فعجلت عن قتلها، وكفأت الإناء عليها، وقلت: لا تحركي الإناء حتى أجيء، فعجلت الإناء، فضربتها العقرب، فجئت وهي تلوى، فلو رأيتني يا شعبي، وأنا أفرك إصبعها في الماء والملح، وأقرأ عليها، وكان لي جار لا يزال يضرب امرأته، فقلت:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءَهُمْ ... فَشُلَّتْ يميني يوم أضربُ زينبَا

يا شعبي وددت أني قاسمتها عيشي[1]!

أم محمد بن المنكدر:

عن محمد بن المنكدر، قال: قالت لي أمي وأنا غلام: لا تمازح الغلمان؛ فتهون عليهم، أو يجترئوا عليك[2].

---

(١) أحكام النساء: ٢٤٢ـــ٢٤٤.

(٢) روضة العقلاء: ١٧٧.

أم طلق:

قالت أم طلق لطلق: ما أحسن صوتك بالقرآن، فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة! فبكى حتى غشي عليه.

أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي، أم عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلي:

قال العليمي: وكان لها حظ وافر من الخير والصلاح والتوكل والتفويض، وهي التي عاهدت ابنها على الصدق في كل أحواله[1]!

أعرابي وأمه:

قال الأصمعي: أراد أعرابي سفراً، فقالت له أمه: قف عليَّ كي أوصيك، وعِ وصيتي، فإنك إن وعيتها؛ كنت محبباً محفوظاً، عليك بحسن الخلق، ولين الجانب، ومرافقة السمحاء المعطين، ومجانبة البخلاء المُكْدِين، وعَدِّ عن الجزع، والْهَ عن النمائم، فإنها تزرع الضغائن، وتزيل الوفاء، واطرح حلل الغرور، فإنها مبغضة، والتخلق بها شَيْن، وأستودعك الله، والسلام عليك[2].

أعرابية وابنتها:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: زوجت أعرابية ابنتها، فلما أرادت أن تهديها، قالت: أي بُنَيَّة، أوصيك فاحفظي وصيتي، وأنصحك فاقبلي نصيحتي، إياك والغيرة المفرطة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة المعاتبة؛

---

(١) المنهج الأحمد: ٣/٢١٦، ٢١٧.

(٢) كتاب الفاضل: ٢٢٢.

فإنها تؤدي النفاق، وعليك الزينة، وأزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء، واستعمال الماء، وأستودعك الله[١].

أعرابية وولدها:

قالت أعرابية لابنها: أيْ بُنَيَّ إن سؤالك الناس ما في أيديهم من أشد الافتقار إليهم، ومن افتقرت إليه هنت عليه، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب، فإذا ألحت عليك الحاجة، ولزمك سوء الحال؛ فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسؤول[٢].

فاطمة بنت أحمد الشقوري:

توفي زوجها، وترك لها ثلاثة أبناء، الأول عمره سبع سنين، والثاني أربع سنين، وبنت عمرها سنتين. وألزمت أبناءها القراءة، وكان ذلك في زمان شديد، أصابت الناس فيه مجاعة، فقتل الناس أولادهم للاستراحة منهم؛ لأنهم لا يجدون ما يقوتهم، حتى أكل الأموات جهاراً بمدينة فاس، فكانت فاطمة بنت أحمد تجتهد في طلب الكسب، بما يحصل قوتها وقوت عيالها، فكان خالها السيد محمد بن خلف الأنصاري يشتري لها قدراً معلوماً من الكتان تغزله، ويبيعه لها، وما يفضل لها يشتري لها قدراً معلوماً من القمح والشعير، فتصنع منه خبزة واحدة، وتجعلها بفور خروجها من المطبخ في زير من الزيت، حتى تروى، ثم تخرجها من

---

(١) المرجع السابق: ٢٢٤.

(٢) المرأة العربية: ٢/٢١٢.

الزيت، فتقسم الخبزة أربعاً؛ فتعطي كلاً من الأولاد ربعاً، وتأخذ هي ربعاً، فعاشوا على ذلك في أيام المجاعة. وكانت يرحمها الله، حيث تتيقظ آخر الليل تغزل غزلاً آخر، وهي تذكر الله، وتتركه حتى تجمع منه ما تنسج به شِقَّه، وتصرف ثمنها في أجرة معلم ولديها القرآن، وهي متعلقة البال لقراءتهما، مجتهدة في إرشادهما، راغبة في إصلاح حالتهما[1].



(١) المختار المصون: ١٢٩٧/٢.

المرأة وعلو الهمة في الجود والصدقة

بذل المال عزيز على النفس، ولكن أصحاب الهمم العالية لا تقف النفس برغائبها في وجه شدة عزائمهم، فلا بريق المال يبهرهم، ولا بهجته تأسرهم، ولا يجود بعزيز إلا عزيز، فإلى هذه الأخبار التي تنبيك عن جود الكريمات، وكرم المتصدقات..

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

❖ عن عطاء أن معاوية بعث إلى عائشة بقلادة قومت مائة ألف، فقبلتها، وقسمتها في أمهات المؤمنين، وكانت من أسخى الناس[١].

❖ وعن أم ذرة قالت: بُعث إليها بمال في غرارتين، قالت: أراه ثمانين أو مائة ألف، فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسم بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست، قالت: يا جارية هلمي فطري.

فجاءتها بخبز وزيت!

فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا لحماً بدرهم نفطر عليه؟!

قالت: لا تعنفيني، لو كنت ذكرتيني لفعلت[٢].

---

(١) أنساب الأشراف: ١/٤١٨.

(٢) نساء لهن مواقف: ٦٦.

أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان:

❖ قالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز: أُفٍّ للبخل! لو كان طريقًا ما سلكته، ولو كان ثوباً ما لبسته، ولو كان سراجاً ما استضأت به(١).

❖ وقالت: جعل لكل قوم نهمة في شيء، وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء، والله للصلة والمواساة أحب إليَّ من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ(٢)!

❖ وقالت: ما حسدت أحداً قط على شيء إلا أن يكون ذا معروف فإني كنت أحب أن أشركه في ذلك(٣).

امرأة روح بن حاتم المهلبي:

جلس روح بن حاتم المهلبي أمير أفريقية ذات مرة في منظرة له بقصره في القيروان ومعه زوجته طلة الهندية، فدخل إليه الخادم بطبق فيه ورد أحمر وأبيض في غير أوانه، فاستظفره روح، وسأل الخادم عن أمره، فأخبره أن رجلاً أتى به هدية، فأمر روح أن يملأ له الطبق دراهم، فقالت له زوجته: ما أنصفته! فقال: ولم؟! قالت: إنه أتى بلونين أحمر وأبيض، فلوِّنْهُ أنت له أيضًا!

فأمر روح أن يخلط الطبق دراهم ودنانير، فخلط، ودفع له(٤)!

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ٣٩٩.

(٢) نساء لهن مواقف: ١٥٨.

(٣) أعلام النساء: ١٥٣/١.

(٤) شهيرات التونسيات: ٣٧.

عائشة بنت عمران المنوبي:

كانت عائشة بنت عمران المنوبي تغزل الصوف، وتقتات من ذلك، وتنفق على الفقراء والمساكين، ولا تدخر شيئاً، فكانت تقول إذا بات في جيبها درهم: الليلة عبادتي ناقصة[١]!

فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي:

قال داود بن علي، أحد فقهاء الحَلاَوِيَّة بحلب: هي التي سنت الفطر في رمضان للفقهاء بالحلاوية، كان في يديها سواران، فأخرجتهما، وباعتهما، وعملت بالثمن الفطور كل ليلة، واستمر على ذلك إلى اليوم[٢].

بنفشا بنت عبد الله الرومية مولاة المستضيء بالله العباسي:

قال ابن النجار: سمعت أنها كانت في عيد الفطر كل سنة تخرج زكاة الفطر صاعاً من تمر، وتقول: هذا ما فرضه عليَّ الشرع، وأنا لا أقنع من مثلي، فتخرج صاعاً من الذهب العين دنانير، فتفرقه على الفقراء[٣]!

فخرية بنت عثمان أم يوسف:

قال عنها صلاح الدين الصفدي: حكى لي أخوها الأمير صفي الدين أبو القاسم البصروي، قال: حمل إليها أخي نجم الدين ستة عشر ألف درهم مما يخصها، فتصدقت بالجميع في جلسة واحدة، ولم تترك منها

---

(١) نساء زاهدات: ١٨.
(٢) الجواهر المضية: ٤/١٢٣.
(٣) أعلام النساء: ١/١٤٩.

درهماً واحداً[١]!

ست الشام بنت أيوب بن شاذي:

قال صاحب كتاب شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: ومنهم ست الشام بنت أيوب بن شاذي، شقيقة شمس الدولة، عاقلة، كثيرة البر والصلاة، والإحسان، وكان يعمل في دارها في كل سنة من الأشربة والعقاقير بألوف الدنانير، وتفرقها على الناس، وكان بابها ملجأ للقاصدين، ومفرجاً للمكروبين[٢].

باي خاتون بنت إبراهيم بن أحمد الحلبية الشافعية بنت أخي شيخ الإسلام زين الدين ابن عمر ابن الشماع:

بذلت نحو مائتي مثقال من الذهب في الصدقات[٣]!

الشريفة ميمونة بنت أحمد بن محمد الحسنية:

قال عنها ابن زيارة: وكان فيها من الكرم والشفقة ما لا يوصف، تنفق ما حصل على المساكين، وقد لا يبقى لديها شيء، وكان يلومها بعض قرابتها، فلا يزيدها ذلك إلا كرماً، وقد تجوع وتحتاج، وتؤثر على نفسها كل محتاج[٤].



---

(١) أعيان العصر: ٤/٣٤.

(٢) شفاء القلوب: ٢٢١.

(٣) الكواكب السائرة: ٢/١٢٩.

(٤) نشر العرف: ٣/٢٥١.

المرأة وعلو الهمة في إسعاد الزوج وطاعته

هذا شرف المرأة الحقيقي، وعنوان نجاحها، إن المرأة بطاعتها لزوجها؛ تؤسس قواعد السعادة الزوجية، وهي بذلك تفوز برضا الله تعالى، وما أجلَّها من غنيمة!

فما أنضر العيش في بيت تلفه دوحة السعادة الزوجية الصادقة، فترى الزوجين كلاًّ يعمل في إسعاد الآخر، وترى هذا الظل الوارف يمتد إلى الأبناء؛ فيتفيئوا ظلال دوحه الظليل..

فعن كعب بن عجرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والصِّدِّيق في الجنة، والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المِصْر في الله في الجنة، ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود، العؤود؛ التي إذا ظُلمت قالت: هذه يدي في يدك، لا أذوق غمضاً حتى ترضى**»[1].

وجاء عن بكرة بنت عقبة أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها، فسألتها عن الحناء، فقالت: شجرة طيبة، وماء طهور. وسألتها عن الخفاف، فقالت لها: إن كان لك زوج فاستطعت أن تنتزعي مقلتيك فتصنعيها أحسن مما هما فافعلي[2]!

---

(١) رواه الدارقطني في الأفراد، والطبراني في الكبير/ صحيح الجامع للألباني: ح٢٦٠١.

(٢) أحكام النساء: ٨٧.

وقالت عائشة رضي الله عنها: يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها[١]!

فإلى أخبار أولئك النسوة اللائي حُزْنَ هذا الشرف الرفيع، ومَلأْنَ أيديهن من هذا الأجر العظيم..

أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها:

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخلت أيم العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروساً، وقامت من آخر الليل تطحن، يعني أم سلمة[٢].

فاطمة ابنة رسول الله ﷺ رضي الله عنها:

قال علي بن أبي طالب ﷺ: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها، ولما زوجها رسول الله ﷺ بي بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف، ورحائين، وسقاء وجرتين، فجرت بالرحا حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة؛ حتى أثرت القربة بنحرها، وقَمَّت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها[٣]!

رملة بنت الزبير:

قيل لرملة بنت الزبير: مالك أهزل ما تكونين إذا كان زوجك شاهداً؟!

---

(١) المرجع السابق: ٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/٩٢.

(٣) أحكام النساء: ٤٢٧.

قالت: إن الحرة لا تضاجع بعلها بملء بطنها! كأنها لم تأمن قرقرة البطن وغير ذلك[١].

ابنة سعيد بن المسيب:

قالت ابنة سعيد بن المسيب: ما كنا نكلِّم أزواجنا إلا كما تكلِّمون أمراءكم[٢]!

حفصة بنت عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة:

كانت حفصة بنت عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة تحت عثمان بن عروة بن الزبير، وكانت تعمل له كل يوم خبيصاً[٣] معصوداً فيما تعمل من طعامه، فدخل عليه يوماً صديق له، فقال له عثمان حيث قُدِّم الخبيص: أما والله ما أشتهيه، ولَلْخَزيرُ[٤] أعجب إليَّ منه. وقد أقامت تعمله له، ويأكله، ولا يقول لها في ذلك شيئاً سنة، فلما خرج الرجل من عند عثمان، قالت حفصة لعثمان: قد سمعت كلامك في الخبيص، فكيف لم تذكر شهوتك للخزير لي؟!

قال: ما كنت لأذكر ذلك لك! فتركت الخبيص وعملت الخزير.

امرأة من قريش:

قال المدائني: عن ابن جعدية: كان في قريش رجل في خلقه سوء وفي يده

---

(١) نثر الدرر: ٤/٥٣.
(٢) أحكام النساء: ٧٢.
(٣) الخبيص: حلواء من تمر وسمن يخبص ويعالج حتى ينضج.
(٤) الخزيرة: لحم يقطع صغاراً، ويطبخ بالماء والملح، ويذر عليه الدقيق فيعصد به.

سماح، وكان ذا مال، فكان لا يكاد يتزوج امرأة إلا فارقها لسوء خلقه، وقلة احتمالها، فخطب امرأة من قريش جليلة القدر، وبلغها عنه سوء خلقه فلما انقطع ما بينهما من المهر؛ قال لها: يا هذه إن فيَّ سوء خلق يعود إلى احتمال وتكرم، فإن كان بك عليَّ صبر، وإلا فلست أغرك مني. فقالت له: إن أسوأ خلقاً منك لمن يحوجك إلى سوء الخلق! وتزوجته فما جرى بينهما كلمة حتى فرق بينهما الموت[1]!

آسية بنت الشهاب محمد بن خلف بن راجح:

قال الذهبي: نقلت من خطه - يعني الحافظ الضياء -: كانت دينة، خيرة، حافظة لكتاب الله، وكانت عندي أربعين سنة وثلاثة أشهر، لم تدخل حماماً، ولا دخلت المدينة، وكنت أخذتها بذلك فأطاعتني، وكانت تؤثرني على نفسها[2]..



(١) بلاغات النساء: ٢١٠.

(٢) تاريخ الإسلام: ١٤٣.

المرأة وعلو الهمة في القناعة

إنَّ الله تعالى إذا وهب عبده قنوعاً؛ فقد أجزل له في الهبة، واختصَّه بكنز عظيم، فأهل القناعة أعظم ما يميزهم الرضا بما قسم الله لهم، فهم على أساس عظيم من أسس التفويض، فالقانع يرفل في ثياب العز، وأبهة الوقار، وفي هذا الفصل نقلت لك خبرين ترى من خلالهما المرأة المسلمة وهي في عز القناعة..

الربيع بن خثيم والمرأة القنوع:

كان الربيع بن خثيم يمر بامرأة، فإذا أمست جاءت إلى عنيزة لها فحلبت، ثم شربت، ثم حلبت فسقته، فقال لها في اليوم الثالث: يا هذه لم لا تسقيني من غير هذه العنز؟! قالت: يا عبد الله إنها ليست لي، قال: فلم تسقيني من هذه؟! قالت: إن هذه مُنِحتُّها أشرب من لبنها، وأسقي من شئت. قال: يا هذه فليس لك من العمل أكثر مما أرى؟! قالت: لا، إلا أني ما أصبحت على حال قط فتمنيت أني على حال سواها، رضاً بما قسم الله لي[١]!

موعظة جارية:

قال أبو محرز الطفاوي: شكوت إلى جارية لنا ضيق المكسب عليَّ وأنا شاب، فقالت لي: يا بُنيَّ استعن بعز القناعة عن ذل المطالب، فكثيراً والله ما رأيتُ القليل عاد سليماً.

قال أبو محرز: ما زلت بعدُ أعرف بركة كلامها في قُنوعي[٢].

---

(١) نساء زاهدات: ١٥.

(٢) صفة الصفوة: ٤/٤٨.

المرأة وعلو الهمة في كظم الغيظ

ترى أهل العزائم يطلبون دائماً رفيع المحامد، وينأون بأنفسهم عن مذموم الخصال، وكظم الغيظ واحد من تلك الخصال الرفيعة، وصاحبها في رفيع الدرجات، فإلى هذه القصة التي صاغت روعتها هذه الخصلة الرَّائعة.. ومن الرَّائع أيضاً أن نختم بها كتابنا هذا..

جلاجل أم زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب:

لما ثار عمر بن نافع على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، حلفت أخت عمر بن نافع إن ملك أخوها القيروان أن تلزم جلاجل أم زيادة الله بطبخ قدر من الفول لها، ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي أخت عمر بن نافع، فظفر زيادة الله بعمر بن نافع، فلما عاد منصوراً إلى القيروان؛ أمر بعض خدمه بإحضار قدر من الفول المطبوخ، وأرسله إلى أخت عامر، وأسرَّ إلى الرسول أن يبلغ أخت عامر على لسان أمه هذه الكلمات: إن مولاتي تقرئك السلام، وتبلغك هذه القِدْر لتكوني بارة في يمينك! فارتعدت أخت عامر لذلك، وكان من جوابها: قولي لمولاتك إن لها الأمر اليوم فلتفعل ما تريد.

فلمَّا بلغ جلاجل ما فعله ابنها زيادة الله دعته إليها في الحين، وقالت له: لقد ساءني يا بنيَّ ما فعلته مع أخت عامر، لأن إظهار العظمة عند المقدرة ليس من شيم الكرام، وكان عليك أن تغض الطرف، وتفعل خلاف ما فعلت، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن من كظم غيظاً يقدر على**

إنفاذه ملأه الله أمناً وإيمانًا يوم القيامة». فامتثل زيادة الله لقولها، وقال: صدقت يا أمَّاه، وسأفعل معها ما يسرُّك، ويرضي الله والناس أجمعين.

ثمَّ إنَّ جلاجل أرسلت لأخت عامر بفرو ثمين ومال وأشياء أخرى نفيسة مما سرها وأزال عنها كلَّ رَوْع[١].

والحمد لله تعالى وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.



---

(١) شهيرات التونسيات: ٣٩ ـــ ٤١ بتصرف يسير.

فهرس المراجع

[١] الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي.
[٢] صحيح الجامع: محمد ناصر الدين الألباني.
[٣] المحبر: أبو جعفر محمد بن حبيب.
[٤] صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي.
[٥] تاريخ مدينة دمشق - تراجم النساء: علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق سكينة الشهابي.
[٦] نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء: على بن أنجب المعروف بابن الساعي.
[٧] تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
[٨] تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
[٩] الحلل السندسية في الأخبار التونسية: محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج.
[١٠] الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن محمد بن محمد بن أبي الوفاء القرشي.
[١١] المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد: عبد الرحمن بن محمد العُلَيْمِي المقدسي.
[١٢] الذيل على العبر في خبر من غبر: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي.
[١٣] المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: إبراهيم بن محمد بن مفلح.
[١٥] خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك: عبد الرحمن بن إبراهيم الأربلي.

[١٦] الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: نجم الدين الغزي.
[١٧] الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
[١٨] ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
[١٩] العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي.
[٢٠] أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى المعروف بالبَلاذُري.
[٢١] كتاب الرقة: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي.
[٢٢] جمهرة نسب قريش وأخبارها: الزبير بن بكار.
[٢٣] كتاب العيال: عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا.
[٢٤] الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع.
[٢٥] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني.
[٢٦] نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: القاضي المحسَّن بن علي التنوخي.
[٢٧] كتاب التوابين: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي.
[٢٨] برد الأكباد عند فقد الأولاد: محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن ناصر الدين.
[٢٩] كتاب الشكر لله عز وجل: ابن أبي الدنيا.
[٣٠] الفاضل في صفة الأدب الكامل: محمد بن أحمد بن إسحاق الوشَّاء.
[٣١] مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن: عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي.
[٣٢] القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية: محمد بن طولون الصالحي.
[٣٣] كتاب التهجد وقيام الليل: ابن أبي الدنيا.
[٣٤] الصلاة والتهجد: عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي.
[٣٥] نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف: محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الصنعاني.

[٣٦] نثر الدر: منصور بن الحسين الآبي.
[٣٧] سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي.
[٣٨] شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: أحمد بن إبراهيم الحنبلي.
[٣٩] حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي.
[٤٠] أعيان العصر وأعوان النصر: خليل بن أيبك الصفدي.
[٤١] بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيى الضبي.
[٤٢] المنجم في المعجم: عبد الرحمن السيوطي.
[٤٣] فتوح الشام: محمد بن عمر الواقدي.
[٤٤] الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبدالله بن عبدالبر.
[٤٥] عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة: علي بن عبدالرحمن بن هذيل.
[٤٦] مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي.
[٤٧] الإمتاع والمؤانسة: علي بن محمد بن عباس أبو حيان التوحيدي.
[٤٨] الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أحمد بن خالد بن محمد الناصري.
[٤٩] بلاغات النساء: أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور.
[٥٠] الحدائق الغناء في أخبار النساء: علي بن محمد المعافري المالقي.
[٥١] محاسبة النفس: ابن أبي الدنيا.
[٥٢] أحكام النساء: ابن الجوزي.
[٥٣] عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
[٥٤] تاريخ المدينة: عمر بن شبة.

[٥٥] الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: المعافي بن زكريا الجريري.
[٥٦] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني.
[٥٧] البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
[٥٨] العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه.
[٥٩] المحاسن والأضداد: عمرو بن بحر الجاحظ.
[٦٠] الفرج بعد الشدة: المحسَّن بن علي التنوخي.
[٦١] السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: محمد بن عبد الله بن حميد.
[٦٢] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان البستي.
[٦٣] نساء لهن مواقف: أزهري أحمد محمود.
[٦٤] أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: عمر رضا كحالة.
[٦٥] نساء من عصر النبوة: أحمد خليل جمعة.
[٦٦] شهيرات النساء: خليل البدوي.
[٦٧] مرآة النساء فيما حسن منهن وساء: محمد كمال الدين الأدهمي.
[٦٨] الروضة الفيحاء في تواريخ النساء: ياسين بن خير الله العمري.
[٦٩] نساء فاضلات: عبد البديع صقر.
[٧٠] نساء زاهدات: محمد خير يوسف.
[٧١] البصائر في تذكير العشائر: محمد عبد الحي الكفليتوري السورتي.
[٧٢] صفحات نيرات من حياة السابقات: نذير محمد مكتبي.
[٧٣] شهيرات التونسيات: حسن حسني عبد الوهاب.
[٧٤] المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: عبد عفيفي.
[٧٥] المختار المصون من أعلام القرون: محمد بن حسن بن عقيل موسى.
[٧٦] رياض النساء: محمود عاصي.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المرأة وعلو الهمة في التوبة: ٥٣

المرأة وعلو الهمة في الصبر: ٥٥

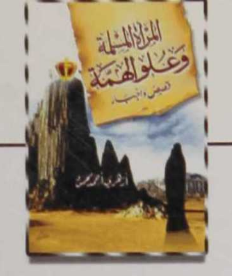
المرأة وعلو الهمة في الورع: ٦٠

المرأة وعلو الهمة في الأمر بالمعروف والدعوة إلى الله تعالى: ٦٣

المرأة وعلو الهمة في التربية: ٩٦

المرأة وعلو الهمة في الجود والصدقة: ١٠٤

❖❖❖



لقد أكرم الإسلام المرأة، ووضعها في منزلة خاصة، ويتجلى ذلك في أحكام الشَّرع التي جاءت خاصَّة بالنساء، ومن تأمل في ذلك رأى تلك المعاني البديعة التي تضمنتها تلك الأحكام، والمتأمل هنا هو من كسا الله تعالى عقله بحلية الإيمان، وأنوار الهدى، ويخرج من ذلك أولئك الذين أعمى الله بصائرهم، فنظروا في تلك المعاني بعين الشك، فلم تظهر لهم تلك الدلائل الباهرة في كرامة المرأة المسلمة، فأرادوا بها أن تقاسم الرجل حقوقه، وتطرح عنها ثوب الأنوثة، فتزاحم الرجل مزاحمة الند! ولكن دين الإسلام الذي أحكم للناس أمورهم، أعطى للمرأة من الحقوق، وكفل لها من الكرامة، ما يجعلها متوجة في أبهى مملكة، وإن أرادت منافسة الرجل فقد جعل لها ذلك في حدود كفيلة أن تعلو بها إلى القمم العالية، من دون تجاوز للشرع.

فللمرأة أن تنافس الرجل في فعل الصالحات، والمبادرة إلى المكرمات، فكم من نساء علون في قمم المجد، من غير ابتذال، ولا مجانبة لأحكام الشرع، فمنهن: العالمات، والعابدات، والزاهدات والقانتات، والصابرات، والصادقات، والمتصدقات، والورعات. فإنَّ خلال المكارم ليست حكراً على الرجال، فإنه ميدان يسع الجميع والسابق فيه من حاز أوفى نصيب.

المؤلف

